

كيف تحاور ملحداً ؟

دليلك المنهجي لمهارات الحوار

أمين بن عبدالهادي خربوعي

- الطبعة الثانية -

كيف تحاور ملحداً ؟

كيف تحاور ملحداً؟

دليلك المنهجي في الحوار

أمين بن عبد الهادي خربوعي

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

خربوعي، أمين عبد الهادي

كيف تحاور ملحداً. أمين عبد الهادي خربوعي - الرياض،

١٤٣٨هـ

١٠٩ص، ١٤×٢١سم

ردمك: ٣-٣-٩٠٨٨٢-٦٠٣-٩٧٨

١- الإلحاد والملحدون ٢- الإسلام - دفع مطاعن أ. العنوان

ديوي ٢٤٩ رقم الإيداع ١٤٣٨/٣١٥٢

- الطبعة الثانية -

١٤٣٨هـ

مركز دلائل

DALA'IL CENTRE

Dalailcentre@gmail.com

الرياض – المملكة العربية السعودية

ص ب: ٩٩٧٧٤ الرمز البريدي ١١٦٢٥

Dalailcentre@

+٩٦٦٥٣٩١٥٠٣٤٠

طبعت في



تصدير :

كثيرةٌ هي العقول التي أفرزتها البشرية لتقود توجهات ملايين الناس لسنوات وسنوات، وسواءً أكانت تلك القيادة في الخير أم الشر إلا أن العاقل يسعىٰ للنظر في أيٍ منها وعرضه علىٰ أوليات الفكر القويم والرأي السديد ليرىٰ مدىٰ اتساقها مع العقل والفطرة ومدىٰ خلوها من التناقض في ذاتها من عدمه.

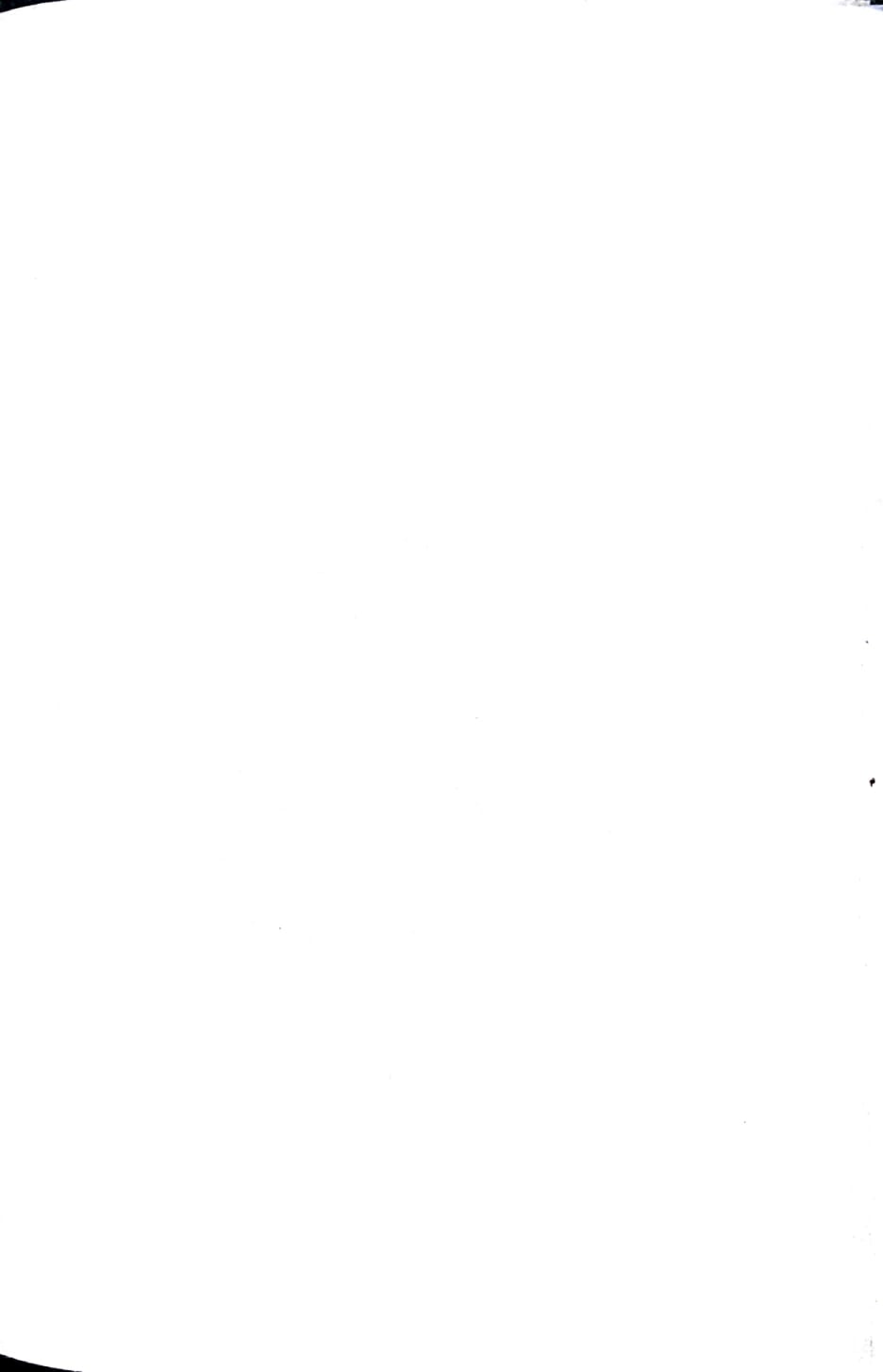
ولذلك: كانت الحاجة الماسة لمثل هذه السلسة من (أطروحات فكرية)...

وفي هذا الكتاب يقدم لنا الأستاذ أمين خربوعي منهجية في التعامل الحواري مع الملحدين، وذلك بالنظر إلىٰ أنواعهم النفسية، وكذلك إلىٰ أشهر الحجج المنطقية أو المغالطات التي تكثر في مثل تلك الحوارات، مبينا المفاهيم والمنهجية والحيل التي يمارسها بعضهم.

مركز دلائل

***


بسم الله الرحمن الرحيم



إهداء...

إلىٰ القلوب المتشوّقة إلىٰ الله تعالىٰ، الحاملين لرسالات القرآن السالكين بها في دروب الزمان، تعبُّداً وبلاغـًا...

إلـىٰ أولئك الـذين يـسهرون الليـالي في حـوار الملاحـدة والذَّبِّ عن حياض الإسلام...

إلىٰ أجيال الدعاة الصادقين المؤمنين...

إليكم سادتي أهدي هاته الورقات...

***



المحتويات:

المحتوى	الصفحة

المحتوى	الصفحة

❁ ❁ ❁

شكرٌ إلى الناشر

أشكر مركز دلائل الذي شرّفني بالانضمام إلىٰ قافلة المؤَلِّفين المُهتمِّين بنقض المذاهب الفكريّة، والذي حمل علىٰ عاتقه إخراجَ الكتاب ومراجعتَهُ وتحقيقَهُ وتسويقَهُ، في ظلّ هاته الحرب الشَّعْوَاء التي يشنُّها المَلاحدةُ علىٰ دين الإسلام المبارك، فقد أصبحت الحرب الفكريّة والثقافية علىٰ جميع الأصعدة، في الإعلام، ومواقع التواصل الاجتماعي، والمنتديات الفكريّة، والبرامج الحواريّة!

وكانت الحاجة في ظل طغيان الحوارات الإسلامية / الإلحادية إلىٰ تزويد المكتبة العربيّة بكتابٍ يسد الثَّغْرَ المنهجيَّ للحوار والتناظر، ذاك أني بحثتُ عن كتابٍ يتطرّق للمسألة بصفةٍ خاصّةٍ وبشكلٍ منهجيٍّ فلم أجد. فيكون هذا الكتابُ أولَ محاولةٍ من العبد الفقير كتشجيعٍ للمُحاورِين وإعانةٍ لهم علىٰ خوض هذا الغمار علىٰ بصيرةٍ.

مع كامل متمنياتي ودعواتي الخالصة لهذا المركز بأن يجعله نبراسًا للحقّ، وأن يبارك فيه حتىٰ يصبح صرحًا كبيراً مشتهراً في العالم العربي، وأن يجازي القائمين عليه ويرفع درجاتهم ويسدد خطاهم.

إنه الولي لذلك والقادر عليه.

مقدمة

الحمد لله خالق السماوات والأرض، جاعل الظلمات والنور، أحمده حمداً كما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله، وأستعينُهُ استعانةَ مَنْ لا حولَ له ولا قوةَ إلا به، وأستهديه بهُداه الذي لا يضل مَنْ أنعم به عليه، وأستغفره لِمَا أزلفتُ وأخّرْتُ استغفارَ من يُقرُّ بعبوديته، ويعلم أنه لا يغفر ذنبَهُ ولا ينجيه منه إلا هو.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قائم بلا عمد، واحد بلا عدد، لا يفنىٰ ولا يَبيد، ولا يكون إلا ما يُريد، وأشهد أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ خصَّهُ تعالىٰ بجوامع الكلم، وغُرَر الحكم، عَلَّمَ المؤمنين الكتابَ والحكمةَ. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

العالَمُ كقريةٍ صغيرةٍ، مقولةٌ حققتها البشريّة منذ القرن الماضي علىٰ أرض الواقع، حيث ظهرت المخترعات العظيمة، فأصبح من اليسير علىٰ الإنسان أن يسافر من بلدٍ إلىٰ بلدٍ في سُوَيعاتٍ قليلةٍ، عِوَضَ أن يضرب أكباد الإبل في أشهرٍ وسنواتٍ! حتىٰ غدا من اليسير

أن يتّصل الإنسان ويحادث الآخر بمجرّد ضغطات زرٍّ في بيته، فانتشرت الهواتف النقّالة، والحواسيب الذكيّة، وظهرت الشّبكة العنكبوتيّة، فمواقع التواصل الاجتماعية والمنتديات الفكريّة، بين شعوب العالم أجمع، فحصل التقارب الحواريّ الذي لم يكن متيسّراً كما اليوم في عهد الأجداد والأسلاف..

فكان من الطبيعيّ والحتميّ أن تتبادل تلك الشعوب وجهاتِ النّظر في جميع الميادين. وما الإنسان إلا كائنٌ رامزٌ حاملٌ لثقافة وعقيدةٍ، فبدأت تدور هناك حواراتٌ بين أتباع العقائد المختلفة، ومن بين هاته الحوارات الدائرة تلك التي بين المسلمين والملاحدة، فظهر صنفٌ من بني جلدتنا يطعن في الدِّين ويقيم الدنيا عليه ولا يقعدها! فتصدّرت للحوار قلّةٌ قليلةٌ من المثقّفين المسلمين، وكثيرٌ ممن هم دون ذلك من الشباب المتحمّس.

فأمّا الأوائل ممن اختصّ في العلوم الشرعيّة وجمعها بالعلوم الوضعيّة فقد كانت حواراتهم موفّقةً مُمنهَجَةً خاضعةً لأصول الحوار المنطقيِّ، وأما الباقون فكانت حواراتهم أقرب إلىٰ العبثيّة نتيجة عدم تحرّيهم تطبيق قواعد المنهج في مثل هاته الحالات، فأصبح من الضروريّ تأليف هذا الكتاب لتبصير الإخوة بالأمور وليكون دليلاً لكلّ محاورٍ حتىٰ يدعو إلىٰ الله علىٰ بصيرةٍ.

ذلك أن الحوار السليم بين المسلمين والملاحدة لا يتَأتَّىٰ بالمجازفة دون علمٍ، وإرسال الأحكام وطرح التعميمات، كما عوّدنا

بعـض الغَيُـورِين، وإنمـا بـالوقوف عنـد مـسائله، ومعرفـة متطلّباتـه وأصوله، وتحليل الشّبه والقضايا.

وقد تجلّت باكورة هـذا الكتـاب في بيـان أن الممارسـة الحواريّـة التـي اختـصّ بهـا تراثنـا الإسـلاميُّ والمعروفـة باسـم «المُنـاظَرَة» هـي أسـاس الوصـول إلـىٰ الحـق، وتغييـر معتقـدات المخـالفين، فهاتـه الممارسة هي جوهر الدعوة الإسلاميّة، ومن المهمّات التي ورثناها عن النبوّة، وحبانا الله تعالىٰ بها، وكلّفنا بتطبيقها إلىٰ أن يرث سبحانه الأرض وما عليها.

فـالحوار اليـوم هـو شـعارُ وعـيِ أمتنـا، وبـه يتحقّـق مـا لا تحقّقُهُ الحـروب والـصراعات، ذلـك أن الحـوار لا يوجـد إلا حيـث يوجـد الاختلاف في العقائد وطرق البحث، وتواصله يعني تواصل الأطراف فئاتٍ وأفراداً، حيث يفضي مع مرور الوقت إلىٰ تقلص هُوَّةِ الخلاف بينهم، لأنـك أيهـا القـارئ حينمـا تـدخل إلىٰ غِمَـارِهِ فمن الطبيعي أن تنصرف عن رأيك متىٰ تبيّن لك عند مقارعة الحجّة بالحجة، ضعف أدلتك عليه، ثم تتجه تدريجيّاً إلىٰ القول برأي من يخالفك، ودينـنا قـد مـدّنا بـأقوىٰ الحُجَـجِ المُبْهِـرة وأروعِهَـا، ولـيس عليـك إلا أن تُمَـنْهِجَ حـوارك حتـىٰ تـصل بمخالفـك إلىٰ طريـق الأمـان، فـالخلاف إن كـان كالداء فإن الحوار كالبلسم الذي يشفي هذا التفرّق.

وبـالحوار تـسهم في توسـع عقلـك وتعميـق مداركـه والـذي لا يتحقـق في النظـر الـذي لا حـوار معـه، ونفـس الـشيء ينطبـق علـىٰ

مخالفك، لأنه بمنزلة نظرٍ من جانبين.

وسوف تجد في ثنايا هذا الكتاب ما يعينك علىٰ اقتحام هذا الميدان، لكي تصل إلىٰ نتائج ترتضيها وتكون فرداً نافعاً في مجتمعك.

فأما قضايا الكتاب **فالفصل الأول التمهيدي** سوف يكون في تعريف الإلحاد بشكلٍ مختصرٍ وهو **المبحث الأول**، وعرضٌ تاريخيٌّ للإلحاد وكيفية تطوره إلىٰ زماننا هذا.

والمبحث الثاني: سيكون في مفهوم الحوار لغةً واصطلاحاً ودوره في تبادل الأفكار وتغيير القناعات.

ثم **المبحث الثالث**: في صفات المحاور المسلم، وهي ستكون عرضاً لأبرز الشروط التي ينبغي أن يتوفر عليها المحاور المسلم.

وفي الفصل الثاني: سوف أسافر بك عبر الشخصيات السِّيكولوجيّة الملحدة التي ستواجهها أيها المحاور المسلم في مسيرتك الدعوية.. وسوف أتجنّب عرض التقسيمات النفسية الصعبة التي لن يفهمها القارئ كتقسيم إيزابيل ميرس وغيرها، وسوف أعرض بدلا عنها تقسيم مارتين ماساكريي ورونالد جاكارد ورالف كليم، مع بعض ما لم تشمله هاته التقسيمات من خلال تجربتي المتواضعة في حوار الملاحدة العرب.

فيكون **المبحث الأول**: في عرض النفسيات الإلحادية كلُّ نفسيَّةٍ حسب خصائصها وكيفيات تمييزها من طرف المحاور المسلم.

كالشخصية القلقة، الشخصية الهَوَسِيَّة، الشخصية المنغلقة، الشخصية النرجسية، الشخصية الاستذهانية، الشخصية البانورامية، الشخصية الفِصَامية، الشخصية المكبوتة، الشخصية الإسقاطية وغيرها... وكيفية التعامل مع كل شخصية.

والفصل الثالث: سيضم **المبحث الأول** وهو في المنهجيّة والقواعد العامة التي ينبغي أن تستعملها ولا تحيد عنها مع ضرب أمثلة علىٰ ذلك.

ثم المبحث الثاني: في الحيل المنطقية الحوارية التي سيستعملها الملاحدة في حواراتهم مع ضرب أمثلةٍ علىٰ ذلك وكيف يتعامل المسلم مع كل حيلة.

وأسأل الله أن أكون قد وُفِّقْتُ في حسن عرض الكتاب، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده وما كان فيه من خطأ فمنِّي ومن الشيطان.

وحرّره الفقير إلىٰ رحمة ربه

أمين بن عبد الهادي خربوعي

المُكَنَّى بأبي عبد الرحمن الإدريسي

بتاريخ الخميس ٧ ذو القعدة ١٤٣٧هـ

الموافق لـ ١١ غشت ٢٠١٦م

بمدينة مكناس، المملكة المغربية.

***

الفصل الأول:

في المفاهيم

التي ينبغي أن يضبطها المسلم



المبحث الأول:
في تعريف الإلحاد لغةً واصطلاحاً وتاريخه.

تبصير المحاور بتعريف الإلحاد:

الإلحاد في اللغة: هو الميل عن القصد والعدول عن الشيء، ومصدره لحد، واللَّحْد: الشَّقُّ الذي يكون في جانب القبر موضِع الميت لأَنه قد أُمِيلَ عن وسَطٍ إِلىٰ جانبه.. وعرّفه ابن السِّكِّيت: المُلْحِدُ العادِلُ عن الحق المُدْخِلُ فيه ما ليس فيه، يُقَال: قد أَلحَدَ في الدين ولحَدَ أَي حاد عنه[1].

وقال فيه الزَّجَّاج: ومَنْ يُرِدْ فيه بإِلحادٍ؛ قيل: الإِلحادُ فيه الشك في الله[2].

فالإلحاد لغةً يُرَادُ به كلُّ مَنْ مَالَ عن القصد والحقّ، فكانت تُطْلَقُ صفةُ الإلحاد عند العرب علىٰ أي أحدٍ أظهر بدعةً وإن كان مؤمناً بالله تعالىٰ وبنبيّه ﷺ، أما إطلاقها علىٰ الكفّار والزّنادقة فأشهر وإن كانوا يؤمنون بأديانٍ أخرىٰ وملل غير الإسلام.

---

(١) قاموس لسان العرب، تعريف لحد.

(٢) المصدر نفسه.

وأما اصطلاحاً: فالإلحادُ L'athéisme هو مذهبٌ فكريٌّ ينفي وجود خالقٍ للكون! واشتُقَّت التسميةُ من اللغة الإغريقيّة أثيوس atheos، وتعني «بدون إله»[1].

فالمفهوم الاصطلاحيّ للإلحاد محوره الأساسي نفي وجود إلهٍ واحدٍ أو آلهةٍ، خالقٍ للكون، مطلَقِ صفات الكمال والجلال.

ومن هنا جاءت التفرقة المعاصرة بين مصطلح الإلحاد وبين المذهب اللادينيّ الرُّبُوبي déiste حيث أن هذا الأخير يؤمن بوجود إله للكون لكنه ينفي أن يكون قد اتصل بالبشر وأنزل ديناً ورسالةً!

أما المذهب اللاأدريّ agnosticism، فهو مذهبٌ قائمٌ علىٰ التوقف، لا هو ينفي وجود إله ولا هو يقرّ بوجوده.

والإلحادُ ليسَ نوعاً واحداً بل هو مدارسُ عديدةٌ ومختلفةٌ، يمكن تقسيمها إلىٰ نوعين كبيرين:

١ - الإلحاد الفلسفي: وهو القسمُ الغالبُ واللامعروف عند عديدٍ من المحاورين، منتشرٌ أساساً بين الطلبة في كليّات الآداب والعلوم الإنسانية، فتجد بضع مئاتٍ من الطلبة في كلّ بلدٍ يعتنقون هذا النوع من الإلحاد، والذي بدوره يتفرّع إلىٰ مدارس.

٢ - الإلحاد العلمي: وهو الإلحاد المُمجِّدُ للعلم والمرتكز علىٰ نظريّة الارتقاء والنشوء لدارون، وهو معروفٌ في الساحة العربيّة وله

---

(١) les confusions de la laïcitéCaroline Fourest ، وانظر معجم لاروس الفرنسي في تعريفه لكلمة الإلحاد.

قوةٌ إعلاميّةٌ وتسويقيّةٌ كبيرةٌ نظراً للانبهار بما حققته العلوم التجريبيّة من اكتشافات.

وعلىٰ المحاور أن يفرّق بين المذاهب الثلاثة (الإلحاد، واللادينية الربوبية، واللاأدرية)، لأن كثيراً من الملاحدة العرب لا يفرّقون بين هاته المصطلحات الهامّة فتجد ملحداً يقدّم نفسه علىٰ أساس أنه لاديني أو لاأدريّ وهو يقصد المذهبَ الأول. كما ضبط مختلف المدارس الإلحاديّة الموجودة علىٰ الساحة.

تبصير المحاور بتاريخ الإلحاد:

في كلّ قرنٍ يُعلِمنا التاريخ بوجود رجالٍ بؤساء نفَوا وجود الخالق، غير أن الفرق الجوهريّ الذي كان: أن القدماء كانوا معدودين علىٰ رؤوس الأصابع بعكس الإلحاد الجديد، الذي وجد ماكينةً إعلاميّةً تُرَوّج له، ونظريّاتٍ علميّةً تدعو إليه!

لكنّ التاريخ يبقىٰ قاصراً وعاجزاً عن تزويدنا بأوّل ملحدٍ في تاريخ البشريّة خاصّةً وأنه لم يصلنا عن القدماء إلا القليل وقد تصل إلىٰ بضعِ كلماتٍ، وهنا يسجّل لنا التاريخ كأول ملاحدةٍ عُرِفُوا قد عاشوا في حقبة اليونان وهم:

دياغوراس من ميلوس (415- ,465-)، كريستياس (403-,460-)، ديوجين الكلبي-٤١٢ ثيودور الملحد 320-[1].

(1) Cicéron, De la nature des dieux, p16.

وهـؤلاء هـم مَنْ نُقلـت عـنهم عبـاراتٌ وتواليـف تنفـي صـراحةً وجود خالق للكون، أما الباقي الذين يتعسّف الملحدون إدخالهم إلىٰ الرِّبقَة الإلحاديّة فقد كانوا يعارضون ديانة اليونان الوثنيّة، ولا شكّ أنه لا يكفي معارضة فيلسوفٍ لديانة قومه حتىٰ يوصم بنفي وجـود الإلـه، خاصة وأنـه في كـل حقـب التـاريخ كانـت هنـاك ديانـات أخـرىٰ عديـدة ونِحَلٍ كثيرةٍ، والحَنيفيّة التوحيديّة عُرفت عند بعض أهل اليونان أيضا.

ومثلـه الهنـدي تـشارفاكا Charvaka، وقـد كـان مـن أشـد المعارضين للديانات الوثنيّة في الهند وقد عاش في سنة ١٠٧ قبل ميلاد المسيح عليه السلام، ولم يُحفَظْ عنه إلا بضع كلماتٍ تنفي وجود حياةٍ أخرىٰ بعد الموت، بوصف الأخير نهايةً لكلّ شيء[1].

لكنْ من المجازفة القول بأنه كان ملحداً بالوصف الاصطلاحيّ للإلحاد، فقد يكون معتقداً بوجود خالقٍ للكون لكنه لا يـؤمن بالبعث والجزاء كما هو حال عديدٍ من اللادينيين في وقتنا المعاصر!

ومنذ هذه الحقبة لم ينقل لنا التاريخ بشكلٍ مؤكّدٍ وجود فلاسفةٍ ملحدين ينفون وجود الخالق، لغاية بزوغ فلاسفة الأنوار والذين شنوا حملةً علىٰ الكنيسة والعقيدة المسيحيّة، فبرزت أفكارٌ وأطروحاتٌ كانت هي أساس تطور الإلحاد كما سنراه في وقتنا الحاليّ، حيث برز الفيلسوف جون ميسليي كأول ملحدٍ في هاته الحقبة والـذي عـاش ما بـين: ١٦٦٤ م -١٧٢٩ م والـذي عمّـم ورفـض العقيـدة المـسيحيّة

(1) Marc Ballanfat, *Les matérialistes dans l'Inde ancienne P156.*

واعتبرها قد خرّبت كل أديان العالم، ونفىٰ البعث والجزاء وغيره من معتقدات المسيحيّة، لكنّه لم يُنقَلْ عنه أنه درس الإسلام أو عرفه وجاء كتابه كأساسٍ ارتكز عليه عديد من الملحدين فيما بعد[1].

وفي سنة ١٧٥٨ م أصدر الفيلسوف الفرنسي Claude-Adrien Helvétius كتابه L'Homme، الذي اعتبر أنَّ العقيدة في الله وما صاحبها من وجود أديانٍ كانت نتيجة ضعف الإنسان وعدم استطاعته فهم الطبيعة المحيطة به، ونقض المذهب الكاثوليكي أيما نقض! ومن عجائب الأمور أن هذا الفيلسوف الذي قال بالإلحاد كان معروفاً بانتمائه للتيار الماسوني الفرنسي! مما سيطرح سؤالاً عن علاقة الماسونيّة بالإلحاد! والسبب الخفيّ الذي سيجعل الإلحاد ينتشر بشكلٍ سريعٍ وبحملاتٍ ضخمةٍ!

ثم سنة ١٧٧٠ م سيصدر الفيلسوف الفرنسي Paul Henri Thiry d'Holbach كتابه *le Système de la Nature*، والذي سيدعو فيه إلىٰ الإلحاد الماديّ وأن الأخلاق الإنسانيّة ليست وليدة الأديان بل مرتكزةً في غريزة الإنسان، وسيعتبر هذا الكتاب أهم ما سيرتكز عليه الإلحاد الماديّ فيما بعد.

وهؤلاء الفلاسفة الفرنسيين هم الأساتذة الأوائل الذين سوف يرتكز عليهم الفلاسفة الألمان كما الانجليز وغيرهم لكي يبدؤوا في تأصيل المدارس الإلحادية الأولىٰ، حيث سيظهر لنا أوجست كومت،

---

(١) *قد أظهر المؤلف ميولاته الإلحادية في كتابه* le *Testament*,

وتلميذه دوركايهم، وشوبنهاور، هيجل، لودوفيج فيورباخ، ماركس ستيرنر، كارل ماركس، فريديرك نتشه، أوجست بلونكي، وسيغموند فرويد.. وغيرهم من رواد المذاهب الفكرية الأخرىٰ كاللاأدرية واللادينية الربوبيّة..

وليس هنا مقام تفصيل المدارس الإلحاديّة، وذكر مرتكزات كلِّ فيلسوفٍ وما قال، بل نُبصِّرُكَ أيها المحاور بتاريخ الإلحاد بشكل ملخّصٍ وعليك الاستزادة، فتاريخ الإلحاد يحتاج إلىٰ مصنَّفٍ مستقّلٍ وليس إلىٰ بضع ورقاتٍ.

غير أننا ينبغي أن ننبه أن الإلحاد كموجةٍ فكريّةٍ معاديةٍ للدين ارتكزت علىٰ نقض الديانة المسيحيّة، حيث جَنَتِ الأخيرةُ علىٰ العالم الغربيّ أيّما جِنايةٍ، وحكمت بالحديد والنار، وبمعتقداتٍ متناقضةٍ لا يستسيغها عقلٌ ولا منطقٌ! والتَّطرُّفُ لا يولِّدُ لنا إلا تطرّفًا مضادًّا

وإننا نزعم بيقينٍ أن أوروبا لو عرفت الإسلام ما انتشر فيها الإلحاد بهذا الكمّ الكبير، ولَمَا عاش في القرون السابقة أزهىٰ عصوره قبل أن يتقهقر في أواخر القرن العشرين من جديد، وانظر مجرّد مقارنة بين عدد الملحدين في عالمنا الإسلاميّ وبين عددهم في الغرب حتىٰ تتضح لك الرؤية، فالأمة تعاني تخلّفًا في كثيرٍ من المجالات وتبعيّةً فكريّةً كبيرةً، وغزواً ثقافيًّا علىٰ جميع الأصعدة ومع ذلك تجد نسبة الملحدين فيها تكاد لا تذكر، فما بالك لو كان العكس!

ففرقٌ بين أن تؤمن الأمّة بعقيدةٍ نقيّةٍ صافيةٍ محفوظةٍ، لا اعوجاج

فيها ولا تناقض، سهلة الاستيعاب، قويّة الأركان، باهرة الحجج، وبين عقيدةٍ متناقضةٍ محرّفةٍ، طالتها ظلمة التشويه، ودخلتها العقائد الوثنيّة من كل جانبٍ!

وشتّان ما بين شيخٍ تقيٍّ لا يدَّعي العصمة لنفسه يُبيِّنُ لك كل ركنٍ من أركان الإيمان بالدليل والبرهان، وما بين راهبٍ يدَّعي العصمة وأن الرُّوح القُدُس يتحدّث من خلاله ويأمرك بالإيمان دون نقاشٍ وإلا فلن ترث الملكوت! يجلسك في جلسات اعترافٍ ويدَّعي غفران خطاياك مقابل دولاراتٍ معدودةٍ!

***

بعض المراجع للتوسع:

- De la nature des dieux, Cicéron.
- Les matérialistes dans l’Inde ancienne , Marc Ballanfat.
- L'athéisme: folie dangereuse, J.G. Eslinger
- Traité de l'athéisme et de la superstition, Jean francois B.
- L'athéisme et le péril social, Félix Dupanloup.
- Histoire de l'athéisme, Georges Minois.

***



المبحث الثاني:
فـي مفهـوم الحـوار، ودوره فـي تبـادل الأفكـار وتغيير القناعات.

إنْ تَجَوَّلْنـا في معـاجم اللغـة فإننـا سـندرك وجـود ثلاثـة مفـاهيم تتداخل في معانيها بمفهوم الحوار، وهي: الجدل، المناظرة، الحوار.

فأما الجدل في اللغة: الجَدْل شِدَّة الفَتْل وجَدَلْتُ الحَبْلَ أَجْدِلُه جَدْلاً إذا شددت فَتْله وفَتَلْتَه فَتْلاً مُحْكَماً[1].

يقال: رَجُلٌ مَجْدُول الخَلْق: مُحْكَم الفَتْل. وجارِيَة مَجْدُولَة الخَلْق: حَسَنَتُه. والرَّجُلَ: صَرَعَه وغلَبه في الجدل .يقال: جَادَلَه فَجَدَله. جَدِلَ جَدَلاً: اشتَدَّت خُصُومَته، فهو جَدِل، ومِجْدَل، ومِجْدال. جَادَلَه: مُجَادَلَة، وجِدَالاً: نَاقَشَه وخاصَمَه. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل:١٢٥)[2].

فـالمعنىٰ اللغـوي يتـضح بأنـه مـأخوذٌ مـن شـدة الفتـل، والغلبـة والقوة، يحاول المجادل أن يثني من يجادله عن رأيه ويفتله.

---

(١) المعجم الوسيط.

(٢) لسان العرب.

وأما الاصطلاح فالجدَلُ: طريقةٌ في المناقشة والاستدلال صوَّرها الفلاسفة بصورٍ مختلفةٍ، وهو عند مَناطقة المسلمين: «قياس مؤلَّف من مشهورات أو مُسلَّمات»[1].

وعرَّفهُ الجُرْجاني بأنه: «القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام مَنْ هو قاصرٌ عن إدراك مقدمات البرهان»، كما عرَّفه أنه: «دفع المرء خصمَهُ عن إفساد قوله بحجةٍ أو شبهةٍ»[2].

فأما المناظرة لغةً «من النظير، أو من النظر بالبصيرة» كما عند الجرجاني[3]، وقال ابن منظور: «والمنظر والمنظرة: ما نظرت إليه فأعجبك أو ساءك. ..النظر: الفكر في الشيء تقدره وتقيسه منك»[4].

وفي الاصطلاح فقد عرَّفَها الجرجاني: «النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب»[5].

وعرّفه الزبيدي وقال: «والمناظرة المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته»[6].

وأما الحوار فأصله من الحَوْر، وهو الرجوع عن الشيء إلىٰ

---

(١) المصدر السابق.

(٢) التعريفات (ص: ١٠٢).

(٣) التعريفات (ص: ٢٩٨).

(٤) لسان العرب.

(٥) التعريفات (ص: ٢٩٨).

(٦) تاج العروس.

الشيء. يقول ابن منظور: «الحَوْر: هو الرجوع عن الشيء إلىٰ الشيء.. والمحـاورة: المجاوبـة، والتحـاور التجـاوب، والمحـاورة: مراجعـة المنطق، والكلام في المخاطبة»[1].

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴾ (الكهف ٣٤). قال القرطبي: «أي يراجعه في الكلام ويجاوبه، والمحاورة: المجاوبة. والتحاور التجاوب»[2].

والمعنىٰ الاصطلاحي هـو أن يتجاذب طرفـان أطراف الحديث بغية التباحث وعرض وجهات النظر الفكرية والعقديّة وغيرها..

وكُـلُّ المـصطلحات: التنـاظر، والتجـادل، والحـوار، هــي في حقيقتها وسيلةٌ لإظهار الحق في ميدان الدعوة، بين طرفين مختلفين إما أصوليّـًا أو فرعيّـًا، والتاريخ الإسلامي زاخرٌ بمثل هاتـه الوسائل بين الفرق الإسلاميّة بعضها ببعض، وبين أهل الإسلام وأهل الكفر من جهةٍ ثانيةٍ، وبين أصحاب المذاهب الفقهيّة أيضـًا.

فمن سنّة الله في الخلق أن جعل الناس مختلفين في الأديان والأخلاق والأفعال، والأعراق والألوان والألسنة، فكان حتمـًا علىٰ الخليقة أن تتحاور فيما بينها لكي تقلّص من هوّة هذا الاختلاف، علىٰ أساسٍ تعارفيٍّ تثاقفيٍّ مصداقـًا لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴾ (الروم: ٢٢).

---

(١) لسان العرب.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٧٣).

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾ (هود:١١٨- ١١٩).

فإن ثبت عندك عقلاً ونقلاً، ملاحظةً وعيشاً، أن شعوب العالم مختلفةٌ، واختلافها واقعٌ لا محالة تجلّت لك أهميّة الحوار في تأسيس العقائد والدعوة إليها، وبزغت عندك فكرة وجوب التبليغ عن الله وعن رسوله ﷺ، سواءٌ في الحوارات المباشرة، أو غير المباشرة عبر مواقع التواصل الاجتماعي والمنتديات المكتوبة.

والحوار لا يكون مؤسّساً إلا علىٰ صفاتٍ ينبغي أن تكون متّصفةً فيك أيها المحاور، لأنّك سفيرُ الإسلام بالنسبة للطّرف الآخر، وهاته المهمّة التكليفيّة والتشريفيّة لن تنهض بها إلا إن جمَعْتَ صفات المحاور المتبصّر مصداقاً لقول الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف: ١٠٨).

يقول الإمام ابن عاشور رحمه الله في تفسيره: «والبصيرة: فعيلة بمعنىٰ فاعلة، وهي الحجة الواضحة، والمعنىٰ: أدعو إلىٰ الله ببصيرة متمكِّناً منها، ووَصْفُ الحُجَّةِ ببصيرةٍ مجازٌ عقليٌّ، والبصير: صاحب الحجة لأنه بها صار بصيراً بالحقيقة... وفي الآية دلالةٌ علىٰ أن أصحاب النبي ﷺ والمؤمنين الذين آمنوا به مأمورون بأن يدعوا إلىٰ الإيمان بما يستطيعون. وقد قاموا بذلك بوسائل بث القرآن وأركان الإسلام والجهاد في سبيل الله. وقد كانت الدعوة إلىٰ الإسلام في صدر زمان البعثة المحمدية واجباً علىٰ الأعيان لقول النبي ﷺ: (بلّغوا

عنّي ولو آيةً) أي بقدر الاستطاعة. ثم لمّا ظهر الإسلام وبلغت دعوته الأسماع صارت الدعوة إليه واجباً على الكفاية كما دل عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ (آل عمران: ١٠٤)»[1].

إن المسلم في نظر الإسلام، لحركةٌ دعويّةٌ بفطرته، وفردٌ إصلاحيٌّ بطبيعته، فمنذ أن بُعث النبيّ ﷺ وتقلّدَ مهمّة الدّعوة إلىٰ الله، عرفَ الأتباع بأن الإسلامَ رسالةٌ من الله لعباده، ومقتضىٰ هذا أن يكون المسلمُ مبلّغاً عن الله ورسوله، وهو أمرٌ إلهيٌّ نافذٌ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

ومن هنا بيّن الله ﷻ سبيل الرسول والمؤمنين، في الدعوة إلىٰ الله والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وهو ما جعل النبيّ ﷺ يقول: (بلّغوا عني ولو آيةً) رواه البخاري.

إنّ العالم اليوم هو في حاجةٍ ماسّةٍ إلىٰ أناسٍ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويحملون رسالة الإصلاح لتحقيق الخير للبشريّة، في ظلّ فردانيّةٍ متوحّشةٍ تُبعد الأب عن أبنائه، والأبناء عن آبائهم، والكلُّ لسان حاله: «نفسي نفسي». حتىٰ أنه قد بلغ أن نصّوا في القانون الجنائي عقوبات سجنيّةٍ في حالة عدم تقديم مساعدةٍ لمضطرّ. ومَنْ كان لا يأمر بمعروفٍ قولاً لن تنتظر منه القيام به فعلاً! إلا مَنْ حافظ علىٰ شيءٍ من فطرته وتعلّق ببعض القيم الإيمانيّة.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير الآية (١٠٨) من سورة يوسف.

فمفهوم الأمر بالمعروف، مفهومٌ شاملٌ في الشريعة يتّسع ليشمل كلّ دعوةٍ إلىٰ الخير، وأعظمُ الخير هو معرفة الله تعالىٰ والدّعوة إليه، ثمّ تأتي بعدها الدعوة إلىٰ قيم الخيرِ وأفعالِ البرِّ التي تجدها مفصّلةً في الإسلام بشكلٍ بديعٍ .

إن الانغماس الاجتماعي l'immersion sociale، قد يؤدّي بصاحبه إلىٰ نسيان دينه وعقيدته، ويتيهُ في ظلمة المعاصي والكفر، وينحرف به إلىٰ الاشتغال بالدّنيا علىٰ حساب الآخرة، ومن هنا كان هذا الانغماس سبباً من أسباب الماديّة، التي تغرق النّاس في ثقافة الاستهلاك والمعاصي، ومقارفة المنكر، فينسىٰ الإنسان أن هناك عدوّاً لا يملّ ولا يكلّ كي يجرفه عن طرق الحقّ، حتىٰ يأتي التذكير إما في لحظة صفاءٍ وجدانيٍّ، أو حين يأتي إنسانٌ ينصحه، ومن هنا أهميّة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وأهميتك أيها المحاور في تبصير التائهين والحيارىٰ.

***

المبحث الثالث:
في صفات المحاور المسلم.

هناك صفاتٌ ينبغي فرضاً أن يتّصف بها المحاور المسلم تعينه علىٰ نجاح دعوته وحواره، لأن المحاور المخالف إنما يلاحظ من طريقة الحوار أخلاق المسلم، من خلال طريقة توجيهه للخطاب، وردود فعله، وأجوبته، وهي كالآتي:

١ - الإخلاص لله تعالىٰ: فغرض المحاور المسلم الرفع من ميزات حسناته ومحبة الخير لمحاوره، لا أن يبتغي بحواره عرض عضلاته أمام العامة والخاصّة حتىٰ يقال فلان قاهر الملاحدة، أو مفحم الكفار وما شابه.. فإن ذلك مما يحبط العمل وبئس مَنْ لا يرتقي به عمله في درجات إيمانه، مصداقاً لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ (الزمر: ٢). والدعوة عبادةٌ لله تعالىٰ يبتغي المسلم بها التقرب إليه سبحانه، فحذار أيها المحاور أن تدخل في حوارٍ لا تبتغي فيه وجه الله تعالىٰ، بل تبتغي فيه الثناء وحظوظ الدنيا، لأن ذلك من المهلكات التي لا ينبغي لك أن تتصف بها.

٢ - الاجتهاد في التزكية وجمع فضائل الأخلاق: فعليك أن تُقْبِلَ علىٰ النَّفْسِ وتستكمل فضائلها، فكثرة الجدل تضعف العمل وتورث الشدة والغلظة. وعليكَ بتقوىٰ الله ﷻ، فلا يسْمَعَنَّ منك محاورك إلا طيب الكلام، ولا تنتقص من قدره، فإنما أنت مبشِّرٌ ميسّرٌ مصداقاً لقول النبي ﷺ: (يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا) متفق عليه. فتحلّ بأخلاق الإسلام القويمة، فإن الحوار له أساسان: الأساس الأول في المنطوق وقوة الحجج، والأساس الثاني في طريقة عرضها وهو غير المنطوق والذي يدل علىٰ أخلاق المحاور. وشدةُ الطبع تلقي بحوارك إلىٰ العناد وإن دخل محاورك إلىٰ خانة العناد ابتعد عن الحق وعن المنهج الحواري الرصين. فيضيع حوارك بدون نتائج..

٣ - العلم: فمن الحُمْقِ أن تدخل أيها المحاور في حوارٍ وبضاعتك مُزْجاةٌ شرعيّاً وفكريّاً، وإنما ينبغي أن تكون ملمّاً بدينك وعقيدتك أولاً، عارفاً الأصولَ والفروعَ، محيطاً بالفقه والحديث، كما التفسير والعقيدة، ولا أقول أنه ينبغي عليك لِزاماً أن تكون عالماً علّامةً، إنما أن تكون طالب علمٍ حققْتَ تعمّقاً بمختلف العلوم الشرعية، عارفاً بالخلاف.. أما من جهةٍ ثانيةٍ أن تكون قد أحطتَ بالمذاهب الفكرية، وكيفية تطورها، ومراكز ضعفها كما قوّتها. ولا بأس من معرفة أصول الجدل وبعضٍ من المنطق حتىٰ تكون علىٰ بيِّنةٍ وحوارك يحقق المنهجية المبتغاة.

٤ - سعة الخاطر: فلا ينبغي أن يكون صدرك ضيقاً تظهر

غضبك علىٰ ما لا يستحق، إنما عليك أن تكون واسع البال، تتحمل الأسئلة والمشاغبات وتتعامل معها بحنكةٍ وخبرةٍ.

٥ - الفصاحة: وهي التمكن من التعبير بسلاسةٍ وبدون أخطاء لغوية، فعليك أن تضبط مفاتيح اللغة التي تختار أن تتحاور بها، مُلمًّا بأصول الخطابة وأن تختار عباراتك بحنكة.

٦ - البساطة في الطرح: حتىٰ يفهمك المخالفون جميعًا، لأن الملاحدة ليسوا علىٰ قدمٍ واحدةً في الثقافة والفهم، فمنهم من لم يكمل حتىٰ دراسته الأكاديميّة، ومنهم من ارتقىٰ ليصل إلىٰ شهادات مرموقة، ومنهم الصغير في السن من لا يزال يدرس، ومنهم الكبير الذي صال وجال في الحياة علىٰ غير بصيرة.

٧ - الذكاء وسرعة البديهة: وهما صفتان أساسيتان لا بدّ منهما، لكي تعرف ما يريده منك المحاور وتطرح عليه الحق بصيغة ذكيّة حتىٰ تحبّبه فيه، فمقصودك من الحوار هو تغيير معتقدات مخالفك، ولن يغيّر الأخير معتقداته إلا إن تيقّن بأفضليتها وأنها أحسن من معتقداته الحاليّة، ولن تصل معه إلىٰ هاته النّقطة إلا بالذكاء في إيصالها إليه.

وسرعة البديهة ضروريّةٌ حتىٰ تتعامل مع الحالات التي يطرح فيها مخالفك التساؤلات، وتعلمَ مقصده من الطرح، وتشبع رغبته في المعرفة.

***

بعض المراجع للاستزاده:

- بلاغ الرسالة القرآنية، للشيخ فريد الأنصاري.
- من أخلاق الداعية، للشيخ: سلمان بن فهد العودة.
- الدعوة إلىٰ الله وأخلاق الدعاة، للشيخ عبد العزيز بن باز.
- منازل السائرين، لعبد الله الأنصاري الهروي.

***

الفصل الثاني:

في الشخصيات السيكولوجيّة الملحدة

المبحث الأول:

في عرض النفسيات الإلحادية كل نفسية حسب خصائصها وكيفيات تمييزها من طرف المحاور المسلم، وكيفية التعامل معها.

لا شك أن الملحد مثله مثل أيّ إنسانٍ عاديٍّ، له مشاعرُ وأحاسيسُ، وثقافةٌ ومجموعةٌ من التَّمثُّلات، والتي تكون مستمدّةً بالدرجة الأولىٰ من الشخصيّة النفسيّة من جهة، وعواملَ خارجيّةٍ متعلّقةٍ بمجموع التجارب الحياتيّة للملحد. لكن الفرق بينه وبين الإنسان المتديّن، أن عقيدته الإلحاديّة تكون سببًا في تطور عقدٍ نفسيّةٍ تؤثر علىٰ شخصيته السيكولوجية، فكان لزامًا علىٰ المحاور المسلم أن يكون خبيراً بالنفسيّات الإلحاديّة، وله قراءةٌ في علم النفس تمكّنه من التعامل مع كل شخصيّة تعاملاً مميّزاً حسب ما يقتضيه الحال، لضمان نجاعةِ الحوار، والتأثير علىٰ تلك الدوافع وإذابة جبل الجليد الذي كوّنه الملحد من الدين!

والفرق بين الإنسان المسلم والملحد تلك الطمأنينة القلبيّة النابعة من كون المسلم يعتقد في عون الله ورعايته وحمايته، فهو دائم

التوجّه إليه سبحانه، يأنس بالله في وحشته، فما أسوأ شيءٍ يمكن أن يحدث له؟ أن يموت؟ فالموت هو انتقالٌ إلىٰ الرفيق الأعلىٰ حيث الجنّة التي طمح إليها سنينَ عديدةٍ، ونظرة المؤمن إلىٰ المصيبة تختلف عن نظرة الملحد، فالأول يعلم يقينًا أنها جوهر الحياة القائم علىٰ الامتحان والابتلاء الذي يؤجَرُ عليه حين صبره، في حين أن الثاني يجزع ويغتمّ فهو يعتقد في هذه الحياة فقط إن ضيّعها ولم يَعشْها في رخاءٍ لم تكن له فرصةٌ أخرىٰ وكان مصيره الزوال .

فالمسلم يؤمن بقول الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الأحقاف: ١٣)، وفي قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٤٨). فيكفي أن يستقيم الإنسان علىٰ الصراط المستقيم فيضمن الجنة، وقد جاء في الحديث: (أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: أرأيتَ إذا صليتُ المكتوبات - أي الصلوات الخمس -، وصمتُ رمضان، وأحللتُ الحلال، وحرَّمتُ الحرام، ولم أزد علىٰ ذلك شيئًا، أأدخل الجنة؟ قال: نعم) رواه مسلم.

فتنتابُ المسلمَ ثقةٌ في الله تعالىٰ تريح قلبه ووجدانه، ومن ذلك قول النبي ﷺ: (جعل الله الرّحمة في مئة جُزءٍ، فأمسك عنده تسعةً وتسعين جُزءًا، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمِنْ ذلِك الجزء يتراحم الخلق حتىٰ ترفع الفرس حافرها عن ولدها؛ خشيةَ أن تصيبَه) رواه البخاري.

أما الملحد فيفتقد لذلك كلّه، فيجزع عند المصائب، ويقلق من الغد، ويُرهبُهُ الموتُ، ويخشىٰ القضاء والقدر، ومن هنا يفتقد إلىٰ منزلة الأنس بالله، ويخطئ النظرة التي ينبغي أن يراها في الحياة، فتتراكم العقد النفسيّة، والرُّهَابات الفكريّة، وتلك نتيجة الإلحاد المُرَّةُ، فيعيش في عدميّةٍ مهلكةٍ قد تؤدي به إلىٰ إنفاق أموال طائلةٍ علىٰ الأخصائيين النفسيّين، وقد تؤدي به إلىٰ فقدان الرغبة في العيش والانتحار!

إن عدداً من أرقىٰ علماء النفس المعاصرين، يتّفقون علىٰ أن أفضل علاجٍ للأمراض النفسيّة المختلفة، هو الإيمان، يقول عالم النفس ويليام جيمس Wiliam James: «إن أمواج المحيط المصطخبة المتقلّبة لا تُعكّر قط، هدوء القاع العميق، ولا تقلق أمنه، وكذلك المرء الذي عمّق إيمانه بالله، خليقٌ بألا تعكر طمأنينته التقلّبات السطحية المؤقّتة. فالرّجل المتديّن حقّاً عصيّ القلق، محتفظٌ باتّزانه النفسي، مستعدٌّ دائماً لمواجهة ما عسىٰ أن تأتي به الأيام من صروف»[1].

ويقول عالم النفس كارل غوستاف يونغ Carl Gustav Jung: «استشارني خلال الأعوام الثلاثين الماضية أشخاصٌ من مختلف شعوب العالم المتحضّر.. فلم أجد مريضاً واحداً من مرضاي الذين كانوا في المنتصف الثاني من عمرهم ـ أي تجاوزوا سن ٣٥ ـ من لم تكن

---

(١) كتاب: دع القلق وابدأ الحياة، لديل كارنجي (ص: ٣٠١).

مشكلته أساسًا هي افتقاره إلىٰ وجهة نظرٍ دينيّةٍ في الحياة.. ولم يتم شفاء أحدٍ منهم حقيقةً إلا بعد أن استعاد نظرته الدينيّة في الحياة».
كتاب: الإنسان المعاصر في بحثه عن الروح، - انجليزي - (ص: ٢٥٤).

ولهذا أريد منك أيها المحاور - رعاك الله - أن تتنبّه إلىٰ هاته التفاصيل لكي تكون أكثر إقناعًا، وأقوىٰ حجاجًا مع الملاحدة، وسوف تجد شخصيّاتٍ سيكولوجيةٍ ملحدةٍ لا تخرج عن نطاق ما سأخبرك، ذلك أنّا راجعْنا تقسيمات علماء النفس في الشخصيات النفسية، فوجدنا منهم مَنْ أكثر ومنهم مَنْ أوجز، فوجدنا من خلال تجربتنا واحتكاكنا المباشر مع الملاحدة، أن تقسيم عالمة النفس مارتين ماساكريي هو الأشمل والأدق، وهي كالآتي:

١ - الشخصية القلقة La personnalité anxieuse:

وهي شخصيّةٌ يلازمها القلق من جهة المعتقد الذي تعتنقه، حيثُ أن الملحدَ بالرغم من اعتناقه للإلحاد يبقىٰ قلقًا وغير متأكدٍ من صحّة اختياراته، تَقُضُّ مضجعه تلك الأسئلة الوجوديّة، التي لم يستطع أن يجد أجوبةً مقنعةً عليها: هل فعلاً يوجد خالق؟ وإن وُجِدَ فمن هو؟ وهل الإلحاد هو الصواب؟ ما هو دوري في هاته الحياة؟ هل هي فعلاً أرحامٌ تدفع وأرضٌ تبلع؟ ماذا لو كان أهل الدين علىٰ حق؟ ماذا لو متّ ووجدتُ الإله؟ ماذا سيكون مصيري؟....

فيعيش صاحب هاته الشخصيّة حالة توتّرٍ دائمٍ un état de

tension perpétuel، تنعكس علىٰ صحته النفسية والجسديّة، وقد يعيش يقظةً مفرطةً مستمرةً hypervigilence constante، تصاحبها اضطرابات في النوم، وعصبيّةٌ، نتيجة إحساسه بعدم التحكّم في محيطه ولو بشكلٍ رمزيٍّ، وتناقضٍ بين عقيدته وبين واقعه المُعاش، حيث أن العقيدة الحقّة هي التي تسير متناغمةً مع ما يعيشه الفرد في حياته سواءٌ في حالةِ الستاتيكا الاجتماعية (حالة المعافاة وعدم المشاكل) أو في حالة الديناميكا الاجتماعية (نزول الابتلاءات).

ولكي تعرف أيها المحاور - رعاك الله - صاحب هاته الشخصيّة فعليك أن تركّز علىٰ طريقته في الحوار، حيث سيتميّز في حواره بنوعٍ من العبثية المنهجية، حيث يريد معرفة كل شيءٍ، مرّة يسأل حول الأصول العقديّة، ومرّةً حول الفروع! وقد يصرّح بحالته ويبيّن لمحاوره ذاك القلق الذي يعيشه، وأنّه غير متأكّد من معتقده الإلحادي.

- كيفية التعامل مع هاته الشخصية:

طبعًا فلكلّ شخصيّةٍ طريقةٌ للتعامل معها، وكيفيّة حوارها، فلا يسوغ أن يوضع الكلّ في سلّةٍ واحدةٍ وطريقةٍ معيّنةٍ؛ إنّما لكلّ مقامٍ مقالٌ، فمن الشخصيات مَنْ لا يليق لها إلا الإفحام والإلزام، ومن الشخصيات ما لا يليق لها إلا الاحتواء والضمّ، علىٰ حسب مرتبة كل شخصيةٍ وأهدافها، والمتبصّر بطريقة القرآن والسنة في الحجاج والجدل سوف يجد أن الطريقة ليست علىٰ قدمٍ واحدةٍ، بل تختلف

باختلاف الشخوص.

ينبغي علىٰ المحاور المسلم الذي يصادف هاته الشخصية أن يهوّن من قلقها، ويطلب منها الاسترخاء، فنحن لسنا في صدد مصارعةٍ حرّةٍ بل حوارٍ عاديٍّ غير إلزاميٍّ، حتىٰ يَضْمنَ عدم نزوع الملحد إلىٰ العناد الذي يبطل الرؤية الصحيحة للأشياء.

ويطلب من محاوره أن يلتزم بالأصول المنهجيّة التي سنراها في الفصل الأخير من كتابنا هذا، وأن يبحث معه عن مصادر قلقه، فيبدأ بالأولويّات العقديّة، ويعيّن مكامن الخلل في نظرته لنفسه وللكون، فيعمل علىٰ شرحها حسب منظور الإسلام لها.

ويشجّع الملحد علىٰ الحوار وذاك عبر ثلاث آليات يرفقها خلال الحوار:

- آلية التجنب L'évitement: فيطلب من محاوره تجنّب التفكير بالمخاطر التخيليّة الراسخة في هاته الشخصيّة، وأن تلك التخوّفات لن تعمل إلا علىٰ سجنه والزيادة من قلقه، فلا يوجد هناك ما يخشاه طالما هو علىٰ قيد الحياة ولم تقم ساعته بعد، فالله ﷻ قد فتح باب التوبة والأوبة إليه.

فغالبية الأشخاص الذين يعانون من القلق في حياتهم يعرفون تماماً الفرق بين المخاطر الحقيقيّة والمُتخَيَّلة، والعمل علىٰ مواجهة المخاطر التي تسبب له ذاك القلق والعمل علىٰ حلّها.

- آلية تغيير مركز الانتباه Modifier le centre d'attention:

لأن من أعراض القلق الحادّ الخوف من النوم، حتىٰ إن كان المريض مرهقًا ويريد النوم فإن الدماغ قد يرسل إشارات إلىٰ الجسم حتىٰ يحرمه من هاته النعمة، وبالتالي تنتاب المرءَ نوباتُ هلعٍ قد ينتفض لا إراديًا فيها، فيحسب أن الموتَ قادمٌ لا محالة.

وعلىٰ المحاور أن يشرح له حالته ويطمئنه أن تلك الانتفاضات اللاشعورية التي قد تأتيه نتيجة عدم إرادة الدماغ للدخول في حالة السكون النَّوميِّ مخافة الموت. وأن يصحح عقيدته فما الموت إلا لقاءٌ جميلٌ مع ربٍّ جميلٍ.

- آلية تغيير النظرة في فقدان السيطرة العقدية Modifier la perception de perte de contrôle: فالشخصيّة القلقة تحس بفقدان الرمزي العقدي، حيث أنها تعتقد في معتقد متناقض لا يحقق أدنىٰ تناغمٍ نفسيّ، فيهلع دومًا حين الابتلاءات، ومن هنا علىٰ المحاور أن يبيّن له بعض الحكم في الابتلاء، وأن الحياة الدنيا ما هي إلا امتحانٌ مؤقتٌ، يرفع من درجات حسناته إن صبر وسلّم، فكل ما سيصيبه خيرٌ وإن لم يدرك حكمته وكنهه إلا بعد حين، فيقلب نظرته في الابتلاءات من خوفٍ إلىٰ أمنٍ وشجاعةٍ في الصبر عليها ومواجهتها.

وعليك أيها المحاور أن تبسّط له الرؤية الإسلامية قدر الإمكان، فإن أنتَ أحسنتَ المزجَ بين سلامة الطرح العقديّ علىٰ ضوء أحاسيسه النفسيّة فزتَ بقناعته وتسليمه.

٢ – الشخصية الهَوسيّة La personnalité obsessionnelle:

وهي شخصيّة تعاني من ارتفاعٍ مَرَضيٍّ في المزاج مبالغٍ فيه مع مشاركةٍ من البهجة والسعادة وفرطِ الثقة والتقدير، تنشغل فيها الشخصية بأفكارٍ معينةٍ ومتكررةٍ بشكلٍ هَوَسيٍّ، تتميز بإرادة الكمال الكليّ، تغلّب الفروع على الأصول، وأن يكون معتقدها صائبًا 100%، يرى فيها الملحد أن طريقته المنهجيّة هي وحدها الصحيحة، وغيرها يقود إلى الضلال والخطأ! وعلى الكل أن يتّبع طريقته تلك، حيث يتكوّن عنده شعورٌ بأنه وكيلٌ على معتقدات الناس مِن حوله!

ولهاته الشخصيّة مميزاتٌ تدلّ عليها منها الجفاء، حيث تتميز هاته الشخصيّة بنوعٍ من البرودة العلاقاتيّة froideur relationnelle، يتعامل بالرسميّات، وتفتقد طريقته لتلك الحرارة في التعامل، يكره التقرّب إلى الأفراد ومن يحاوره! ويجد صعوبةً في التعبير عن مشاعره، إضافة إلى افتقاده للحماس في معرفةِ معتقدات الغير! وعنيدٌ لا يسلّم بسهولةٍ لرجاحة الرأي الآخر.

- كيفية التعامل مع هاته الشخصية:

هاته الشخصية كما أسلفنا شخصيّةٌ باردةٌ اجتماعيّا وتميل إلى الرسميات، وتحسب أن نظرتها «المنطقيّة» للأشياء هي التي ينبغي أن تسود في المجتمع!

فإن صادفتَ أيها المحاور مثل هاته الشخصيّة فينبغي قبلاً أن تقلّب معه في ماضيه، وتطرح عليه أسئلةً تبيّن لك أسباب وصوله إلى

هاته الحالة!

وغالبًا لن تجد الأسباب تخرج عن ستٍّ هي:

- إما أن يكون هذا نتيجة عوامل بيولوجيّة: مرضٌ عضالٌ، إعاقةٌ دائمةٌ نتيجة حادث، إدمانٌ علىٰ خمور أو مخدرات أثَّرتْ علىٰ سلامة رؤيته للأشياء.

- تجربةٌ عائليّةٌ يكون قد نشأ عليها من طرف والديه، أو معايير ربي عليها.

- صراعاتٌ قديمةٌ أيام الطفولة أو الشباب.

- طريقةٌ في التفكير غير عقلانيّة أدت إلىٰ أن يظن بأنه ليس من حقه أن يخطئ وأن يعيش حالة كمالٍ إنسانيّ.

- نقصٌ في التقويم من طرف أصدقائه ومقربيه حيث تركوه يبني قناعاته دون تقويم.

- عوامل عاشها أدت إلىٰ أن يعتنق هذا الخلل في الشخصية.

وكيفما كان الحال من أسباب فعلىٰ المحاور خلال حواره أن يضع أهدافًا دون تصريح تكون كالآتي:

- أن يُحَسِّنَ من قدرته علىٰ حل مشاكله.

- أن يُحَسِّنَ من قدرته العلاقاتية ويُشجِّعَهُ علىٰ التخاطب مع الغير.

- أن يدفعه إلىٰ التحسين من جودة حالته لما لها من ترابط عقدي مباشر.

فعلىٰ المحاور أن يبني علاقةً وديّةً معه، ويبيّن له أنَّ توطيد العلاقات الإنسانية لها نفعٌ علىٰ شخصيّته، ثم يعمل علىٰ نقض منهجه المنطقيّ في التفكير، فيبيّن له عُوَارَهُ بشكلٍ مبسّطٍ ويوضّح له مكامن الخلل عبر ضرب أمثلة عليها من الواقع الملموس، وأن ما يحسبه الطريق الوحيد في فهم الأشياء هو مجرد شيءٍ شاذ بإجماع عقلاء المنطق.

وعليه أن يكثر من الاستشهاد بأئمة الحجاج والمنطق، ويبيّن للملحد أنه ليس علىٰ شيءٍ، وأن يتجنب الكلمات التي تفضي إلىٰ تعكير صفو المناظرة، كأن يستهزئ بالخصم، أو يصفه بالغباء أو البلادة، فكل ذلك من الصَّوارِفِ عن الحق، فيقذف بخصمه إلىٰ غياهب التَّعنُّت والتكبر، ويقطع مادة الفهم والخاطر.

٣ - الشخصية النرجسية La personnalité narcissique:

وهي الشخصية التي تبحث عن الإعجاب وستجدها أيها المحاور في غالبيّة الملاحدة العرب، وهي شخصيّةٌ مغرورةٌ جدّاً، نتيجة تصوّراتٍ قَبْلِيّةٍ رسخت في ذهن الملحد حول الدين والمتديّنين، باعتبارهم مجموعةٌ من المتخلّفين يعتقدون في دينٍ «أسطوريٍّ» في نظره، أي شعورٍ بالدونيّة infériorité، يسقطه علىٰ مخالفه، بالرغم من أنّ هذا المتديّن أو ذاك قد يصل إلىٰ مراكز مرموقةٍ علميّاً، وقد يجمع بين تخصصاتٍ عدةٍ لم يبلغها الملحد نفسه!

فيعتبر الملحد نفسه إنساناً فوق البشر، يعتقد بمُعتقَدٍ لا يعتقده

إلا الخاصّة؛ وذاك عبر تمجيد «الأنا» le Moi، وتحقير المجتمع ككلّ بدينه وتقاليده وثقافته، وليس هذا مرهوناً بالمجتمع الإسلامي، بل حتىٰ المجتمعات الغربيّة التي تدين بدينٍ معيّن يخالفه المعنيّ، حتىٰ لو كان في الصين أو اليابان أو الولايات المتحدة الأمريكيّة وغيرها! فيدخل الملحد حواره ظانّاً منه أنه يستطيع إفحامَ مخالفه بسهولةٍ تامّةٍ، ولا يدري أنّه مرتكزٌ علىٰ فكرٍ هشّ الأركان، ضعيفِ الأسس، لكنّ الانغلاق علىٰ الذّات والاكتفاء بمطالعة فكرٍ وحيدٍ هو السّبب الرئيس في هذا الظنّ القبليّ اللاشعوريّ؛ حتّىٰ إن أُفحِمَ من كلّ الجهات ردّ السببَ في عدم استطاعة ذاك المتديّن فَهْمَ ما يقوله هو، وليس إلىٰ هشاشة الطرح!

فكيف له وهو المثقّف في أن يعتقد برسالةِ نبيٍّ أُمِّيٍّ، ودينٍ انتشرَ بين البدو قبل ألف عامٍ ويزيد؟ وإن كان هذا الدين له قوةٌ حجاجيّة كبرىٰ ويحمل أفكاراً تقدميّةً كثيرةً! فهو لا ينظر إلىٰ أصل الرسالة علىٰ أساس أنها آتيةٌ من خالق الكون، بل آتيةٌ عن محمد بن عبد الله ﷺ! في حين أنه يتناسىٰ أن مجملَ أفكاره «المعاصرة» هي آتيةٌ عن ما هو أقدم من العصر الرسالي، بل هي أفكارٌ ظهرت عند اليونان قبل الميلاد وتمّ تجميلها ما بين القرنين ١٨ و٢٠!

والملحد من هذا النوع تستطيع معرفته حينما يصرح بأنه «قرأ القرآن كاملاً، وكتب التفاسير كلّها، والحديث والعقيدة والفقه»! ممهّداً بذلك لمحاوره، أنه ملحدٌ متمكّنٌ من الإسلام، ينزل نفسه

منزلة عالمٍ شرعيٍّ كفر عن علمٍ وليس عن جهلٍ، يحاول فيها بذلك التدليس علىٰ الطرف الآخر؛ لكي يضفي نوعًا من المصداقيّة والمشروعيّة لتساؤلاته تلك؛ فيتسامىٰ بوهمٍ إمّا للتلبيس علىٰ مسلمٍ له حظٌ قليلٌ في العلم، أو لكي يستعرض عضلاته علىٰ أهل الحقّ، أو لكسبِ منزلةٍ اجتماعيّةٍ داخل طائفته الإلحاديّة!

تجده دائمًا مُتَّصفًا بسلوكٍ تحكّميٍّ؛ يبحث أن يُشعر الطرف الآخر بمشاعر لكي يجبره علىٰ التسليم بأهدافه! يتّهم الآخر، ينتقده، يحتقره، يسخر منه...

- <u>كيفية التعامل مع هاته الشخصية:</u>

الشخصيّة النرجسيّة من خلال التجربة، شخصيّةٌ لا يليق الرفق معها، لأنها غالبًا ما تتصف بقلّة الأدب والسخريّة، وإرادة التلبيس علىٰ معتقدات الناس، وإبراز العضلات داخل المناظرة! فهدفه الأسمىٰ ليس هو إقناع المحاور المسلم، بل إضلال العامّة ممن يحضر إلىٰ المناظرة.

لأن الشخصيّة النرجسيّة ينبغي أولاً أن تُحَالَ إلىٰ أخصائيٍّ نفسيٍّ، يعقد معها حصصًا فرديّةً أو داخل مجموعاتٍ.

فإن صادفتَ مثل هاته الشخصيّة فعليك أيها المحاور ألّا تتركَ ما قدرتَ عليه من المضايقة، ولا تَتَقِ شُنْعةً تجد إليها سبيلاً إلا وألحقتها به، ولا تتساهل معه في شيءٍ وألزمه قدر المستطاع وأفحمه من شتىٰ البقاع، حتىٰ لا يُشَنِّعَ عليك بما يصعب عليك تَقَصِّي أمره ورد كيده

وإزالة إيهامه، فإن ضايقته وضيَّقْتَ عليه ضعف في نظر القراء، فتكتُمُ باطلَهُ وتضربه به فلا يرُوجُ له شيءٌ.

وإنْ تبيّن للناس جهله وادعاءاته الكاذبة، فهو غالبًا ما يلجأ إلىٰ الكذب ويزعم أنه ضليعٌ بالإسلام واصلٌ فيه إلىٰ مرتبة الاجتهاد! فتنبّه فكل من فيه هاته الصفات فاعلم أنه شخصيّة نرجسية:

- يشعر بأنه فوق كل من يحيط به.
- يغير رأيه في وقتٍ قصير جداً قصد الهروب من الإلزام.
- يظن بأن الناس معجبة به.
- يستعمل الكذب والتَّدْليسَ للوصول إلىٰ غاياته.
- يَغير من نجاحات المحاورين الآخرين.
- لا يقبل النقد.
- له شخصيّة تحكُّميَّةٌ ويحاول إدارة الحوار حسب مزاجه.
- يتميز بالكِبْر والعناد.
- يرفض الاستماع إلىٰ النصائح.
- يظن بأن الناس محظوظون بمعرفته.
- لا يتأدب بآداب الحوار والطرح.

٤ – الشخصية المكبوتة **personnalité refoulée**:

الكَبْتُ هو عمليّةٌ تكونُ حينما تكون مجموعةٌ من المشاعر والغرائز والدوافع والمعتقدات غير مقبولةٍ في وعي الإنسان المعنيّ،

فيلقي بها في اللاوعي l'inconscient، أو الأنا الأعلىٰ surmoi.

فآلية الكبت تعمل بصفةٍ اختياريّة sélective، بمعنىٰ أن تختار ما يتعارض مع ما يريده الإنسان، وفي حالة صدامٍ بين أحاسيس يشتاق إليها الشخص وبين واقعٍ بناه المعنيّ كشخصيّةٍ، ولكي أقرّب للأعزاء القراء أمثلةً من ذلك أقول:

ثابتٌ في علم النفس الاجتماعي أن الإنسان كائنٌ متديّن بالفطرة، يتشوّق للدين، وللاعتقاد في وجود إله للكون، فهاته مجموعةٌ من الأحاسيس والغرائز المركوزة في النّفس البشريّة التي يكبتها هذا الملحد! يقمعها قمعاً ولا يبالي بنداءاتِ فطرته، لأنّه ببساطةٍ بنىٰ ذاك الصرح الإلحادي وارتضاه لنفسه، فهو يريد أن يكون ملحداً، يعيش في كنفِ هذا المعتقدِ، يرىٰ من خلال منظاره، يحبّ، يعشق، يعيش، يصادق، يعمل، يتكلّم، يبني آراءه كلمحدٍ!

فيظهر الكبت ليلقي بتلك المشاعر والأحاسيس والأفكار، في اللاوعي، ينساها لبُرْهاتٍ، لفتراتٍ، ثم تعود لتقضّ مضجعه من جديدٍ! وهكذا، وكأنّه يدور في حلقةٍ مفرغةٍ عمرَهُ كلَّهُ، كشقاءٍ حياتيٍّ اختاره لنفسه، وارتضاه شعاراً له في الحياةِ! لأنّ المكبوتَ دائماً ما يكون حركيّاً dynamique، ودائماً ما يبحث عن وسيلةٍ لكي يتحرّر من هذا الكبت والقمع! يبحث دون كللٍ أو مللٍ لكي يتسرّب إلىٰ الوعي la conscience، هاته المحاولات تكون إما عن طريق أحلامٍ، فلتات اللسان، وسبق الأقلام les lapsus، وغيرها..

ولهذا حسب علم النّفس فهذا الكبت يقود إلىٰ أمراضٍ كثيرةٍ نفسيّةٍ منها العصاب la névrose، نظراً لِكَمٍّ المجهود النفسي الذي يبذله الشخص لكي يكبت تلك الاشتياقات والغرائز! فعودة المكبوت le retour du refoulé هو الذي يجعل الملحد دائمًا يبحث عن الحوارات الدينيّة، ويدخل إلىٰ المواقع الإسلاميّة، وعددٌ منهم يصارحوننا بأنهم قد أصبحوا يعيشون شقاءً نفسيًّا، وإعياءً روحيًّا، وتعبًا دائمًا fatigue perpétuelle، ولم يستطيعوا التحمّل أكثر فيطلبون يد العون من داعيةٍ أو متخصصٍ! والشخصيّة المكبوتة يتكوّن عندها خوفٌ من صحّة المعتقد الآخر.

- <u>كيفية التعامل مع هاته الشخصية:</u>

علىٰ المحاور المسلم أن يكون ذكيًّا في تعامله مع صاحب هاته الشخصيّة، وأن يخرج محاوره من حالة كبت التساؤلات ومقاومة غريزة التديّن، وذلك عبر تشجيعه علىٰ إبراز تساؤلاته وطرحها، وعدم الخوف من التفكير فيها بشكلٍ منطقيّ منصفٍ.

حيث أن صاحب الشخصيّة المكبوتة يظنّ توهّمًا أن التديّن بدين الإسلام سيقلب حياته رأسًا علىٰ عقب، وسيحطّم روتينه الذي ألفه، وغالبًا صاحب هاته الشخصيّة يكون خائفًا ليس من المعتقد بل من الفرعيّات الفقهيّة، فقد تجده مثلاً لا يستطيع الاستغناء عن سماع المعازف، أو لا يحب إطلاق لحيته كسُنَّةٍ، أو إن كانت ملحدةً تخاف من التَّنَقُّب وعدم كشف الوجه، وغيرها من الفرعيّات الفقهية.

وهنا المحاور عليه بعدما ينتهي من إقناع المخالف بالأصول، أن يسلك طريقين:

١ - إما أن يبرز للمخالف الحكمة من هاته الأشياء، وأَنَّ علىٰ الإنسان التسليم لأوامر ربّه فالفرعيّ يكون تابعـًا للعقديّ، ويعمل علىٰ إزالة تلك الحواجز التي تجعل الملحد يجبُنُ عن الإتيان بها.

٢ - وإما أن يبيّن له أن مسائل الفرعيّات يسوغ الخلاف الفقهيّ فيها، وأن يأتي بالأمور تدريجيًّا معه، فأن يعتنق الإسلام ويأتي بأركانه الكبرىٰ مع تفريط في بعض الفرعيّات خيرٌ من أن يبقىٰ علىٰ كفره، فلما يتشرّب العقيدة ويرتقي في مسالك التزكيّة سيكون له أُهْبَةٌ واستعدادٌ إلىٰ النظر في مثل هاته الأمور الفرعيّة علىٰ حسب الراجح من الدليل والمعتمَدِ في الفقه.

وهنا نصيحةٌ للإخوة المحاورين، بألاّ يُغلِّبُوا الفرعيَّ علىٰ العقديِّ، فالأمور لا تُؤخَذُ جملةً واحدةً، بل ينبغي أن يتريَّثُوا مع الملحد القريب من الإسلام، أو المسلم الجديد، وأن يتناولوا معه أمور الفرعيّات خطوةً خطوةً، ولنا في الأسلوب الدعويّ الرسولي أسوةٌ حسنةٌ.

٥ - الشخصية الاستذهانية

personnalité de L'intellectualisation:

هي شخصيّة تستعمل الاستذهان لِعَقْلَنَةِ أساطيرها التأسيسيّة حتىٰ تكون لها وجاهةٌ منطقيّةٌ لقبولها نفسيًّا! بمعنىً آخر هو محاولةُ

بناء منطقيّ للمشاعر والصراعات المنبثقة عن الأفكار من أجل التحكّم بها، وتبريرها نفسيّاً.

وليسَ شرطاً أن يكون البناءُ فعلاً منطقيّاً لا غبار عليه عند العقلاء، بل يكفي توهّم تلك المنطقيّة نفسيّاً وتصديقها وإن كانت في حقيقة أمرها أبعد عن المنطق السويّ والعقل السليم!

ويُعرِّفُ الاستذهانَ عالمُ النَّفْس سربان إيونيسكو Serban IONESCU فيقول: «استخدام التجريد والتعميم أمام حالةٍ صداميّةٍ تؤرِّقُ كثيراً الإنسان..»[1].

فتكون للشخصية الاستذهانيّة حالتين معيّنتين تتمظهر فيهما بشكلٍ ظاهرٍ: محاولة إعطاء الصبغة العقلانيّة لمجموعة من المعتقدات والمشاعر والأحاسيس، والثانيّة كتعميمٍ لمعالجة حالةٍ صداميّةٍ، وكذا حواريّةٍ!

هاته الشخصية لا تظهر إلا حينما تكون معتقدات الملحد هاته مهدّدةً من طرف عقله الشاكّ من جهة، أو من طرفِ شخصٍ آخر خارجيّ، فبالتالي حينما يبدأ الملحد بالتساؤل والنّظر في معتقداته، تكون هاته المعتقدات مرتبطةٌ ارتباطاً وثيقاً مع مختلف مشاعره التي يشعرها، فلا شكّ أنه ما اعتنق معتقده إلا وقد شُغف به حبّاً، وقلبَ حياته رأساً علىٰ عقبٍ من أجله، وبدأ ينظر إلىٰ الكون والحياة ومختلف الملذّات والأديان بمنظار هذا الفكر الإلحاديّ.

---

(1) Serban IONESCU et collaborateurs, Les mécanisme de défense, Nathan Université, 2003.

فحينما سيكون هذا المنظارُ -الذي عاش ولا زال يعيشُ من خلاله- محطّ خلخلةٍ تهدّد ذاك التكيّف النفسيّ، وأنّ النظرة الدينيّة قد تكون هي الحقّ الذي لا غبار عليه، يأتي الاستذهان كميكانزمٍ دفاعيٍّ لا شعوريّ تتلبّس به الشخصية، والميكانيزمات الدفاعية وتسمّىٰ أيضا آليات الدفاع النفسيّة Mécanismes de défense psychologiques، أو آليات التكيّف النفسي، هي مجموع العمليّات اللاشعوريّة التي يستعملها الإنسان «الأنا» le moi، التي يهدف من خلالها الوعي النفسيّ إنقاص، أو إزالة، أو تغيير كل ما من شأنه أن يمسّ الصحة النفسيّة للإنسان، لتجنب القلق والحيرة والشك...

هاته الميكانيزمات les mécanismes، كما تُستَعْمَل في الخير تُستعمَل في الشرّ، وغالبًا ما تكون في حالات معيّنة تمسّ وضعيات مختلفة في حياة الإنسان، خاصةً في مجال النقاش الفكري والمناظرة الثقافية التي تكون بين شخصينِ فيهدّ أو يعدّل من بنيان معتقده بشكل - منطقيّ- بالنسبة له هو، لكيّ يضمن استمرار ذاك الروتين الحياتي الذي أَلِفَهُ وشبّ عليه!

فالشخصيّة الاستذهانيّة ليست شخصيّةً منطقيّةً بل هي تعيش توّهم التَّمَنطُقِ Illusion dialectique.

- كيفية التعامل مع هاته الشخصية:

في هاته الحالة علىٰ المحاور المسلم أن يركّز في حواره مع هاته الشخصيّة علىٰ الأساسات التي يتوهمها الملحد عقليّةً لتبرير

معتقده المتناقض، وأن ينقض أساسات الإلحاد نقضًا عقليًّا صِرْفًا، حتىٰ يخلل زخرفات الباطل التي تصرف الملحد عن اعتناق الإسلام!

فمثلاً حينما نسأل أهل الإلحاد: ما الأدلة علىٰ عدم وجود الله تعالىٰ؟ يبادرونك بالجواب: لأنّه لا توجد أدلّةٌ علىٰ وجوده! فجوابهم هذا هو جوابٌ استذهانيّ بالدرجة الأولىٰ، فمنطقيًّا لا يمكنك أن تؤمن بشيءٍ دون وجود شيءٍ دالٍّ عليه، ولا يمكنك اعتناق نقيضه لغياب دليلٍ في الطّرف الآخر، فالموقف المنطقيّ العاقل حينها: أن يكون الملحد «لاأدريًّا» بمعنىٰ متوقّفٌ لا إلىٰ هؤلاء ولا إلىٰ أولئك، لكنّه في الحقيقة أغمض عينيه إلىٰ النظر - مجرد حتّىٰ النظر - في أدلة أهل الإيمان الكثيرة والقوية في إثبات وجود الله، واعتنقَ معتقده كنعامةٍ تضع رأسها في التّراب وتحسب أن الشمس قد غربت!

فالملحد يرىٰ جوابه منطقيًا في حين أنَّ لا وعيه النّفسي هو الذي تقبّل هذا التبرير، لكي يحصّن نفسه مما يتوهمه باطلاً، أي نحن أمام توّهم التمنطق Illusion dialectique، وليس أمام بناءٍ منطقيّ حقيقيٍّ لا غبار عليه. ويمكننا في هذا الصدد أن نعطي أمثلةً كثيرةً، كيفَ أن كثيراً من الأفكار الإلحاديّة اللامنطقيّة؛ تخضع لآلية الاستذهان، حتىٰ تصطبغ بهاته الصبغة، ومثاله آخر صيحات الإلحاد في الغرب؛ وهو ادّعاءُ أن هناكَ كائناتٍ فضائيّةً متطورّةً جدّاً وعالية الذكاء قد تكون سببًا في وجود الحياة علىٰ الأرض!

هذا الموقف جاءَ حينما بدأت الأنساق العلميّة المغلّفة للباطل الإلحادي في التهاوي، وأصبح العلماء يثبتون يوماً بعد يوم وجود إحكامٍ في الخلق وليست فوضىً عبثيّةً، وأنه من الاستحالة أن تؤدي تلك العبثيّة إلىٰ هذا الإحكام الكوني والتعقيد الخَلْقيّ، فكان أن كبيرهم Richard Dawkins لم يستح في أن يعلنها للملأ من قومه، فبضربةٍ نفسيّة استذهانيّةٍ خرج من المأزق الذي سيُسقِطُ الإلحادَ جملةً وتفصيلاً، بالقول بذكاءٍ فضائيٍّ أسمىٰ!

وغالباً ما يكون أصحاب هاته الشخصيّة يتبعون الإلحاد العلميّ، وتعسّف النظريات العلميّة لتبرير المعتقد الإلحادي، وطبعاً ينبغي علىٰ المحاور المسلم أن يكون متخصصاً في العلم الوضعي، قادراً علىٰ نقض النظريات التي تبرر الإلحاد وتسوّغه في نفس هاته الشخصيّة.

وأول شيءٍ ينبغي للمحاور أن ينقضه هو أن العلم الوضعيّ لا ينبغي أن ينزله الفرد منزلةً فوق منزلته، ولا أن يرفع النظريات إلىٰ مراتب الحقائق، بل يثبت له من تاريخ العلم نفسه كم من نظريّة كانت تعتبر كحقيقة فما لبث أن سقطت بنظرية لاحقة لها.

وأن يبيّن للملحد أن العلم ليس متخصصّاً بالجزم في الغيبيات، فهو لا يبحث إلا في نطاق المحسوس التجريبيّ، وإجابة سؤال «الكيف» أما سؤال «لماذا» فلن يجد في العلم ما يحقق له بغيته.

٦ - الشخصية البارانورامية الموسوسة

La personnalité paranoïaque:

هي شخصيّةٌ تتميّز بالحيطة والحذر الشديدين بشكل مبالغٍ فيه، يستحيل أن يضع ثقته في أيٍّ كان، عنده الآخر يريد به شرّاً ويفترض فيه سوءَ نيّةٍ قبليٍّ، فعنده أهل الإسلام من الدعاة مجرّد دجّالين يريدون أن يضحكوا عليه في معتقده لكي يحققوا منافع من ذلك، بل قد تصل به الوقاحة لأن يتهمهم بأنهم يعرفون بطلان معتقدهم! يتميّزون بنوعٍ من العدوانيّة وقلّة الأدب في طرح أفكارهم، يظهرون صفاتٍ سلبيّة أمام محاورهم، ويشكّون في كل الأفكار التي تُعرضُ أمامهم، كما أنهم يتميزون بإصدار أحكام خاطئةٍ، وعدم تكيّفٍ مجتمعيٍّ.

- كيفية التعامل مع هاته الشخصية:

علىٰ المحاور هنا أن يقيس درجة وَسْوَسَة الملحد، وهل يتطلّب الأمر بأن يوجهه أولاً إلىٰ أخصائيّ نفسيّ حتىٰ يخفف من حدّة مرضه، أم أن تلبّسه آتٍ عبر اعتناق مذهبٍ فلسفيٍّ إلحاديٍّ فقط!

وأول خطوةٍ هو بأن يعرّف محاوره بحالته، وأنّه يعاني من خللٍ في رؤية المجتمع من حوله، وفي النظر بشكلٍ عقديٍّ إلىٰ الكون والحياة.

فغالبُ الملاحدة انتقدوا عقيدة الرهبنة في المسيحيّة، حيث أن الرهبان كانوا يستغلون الأتباع من أجل الاغتناء الماديّ والمنفعة الشخصيّة، ومن هنا فقدوا الثقة في رجال الدين.

فالمحاور ينبغي أن يعيد تلك الثقة الضائعة التي أدت بالملحد

إلىٰ أن يعتنق هاته الشخصيّة، ويبيّن لـه الفـرق بـين الـدعاة في الإسـلام والمُنصِّرين والرهبان في المسيحيّة؛ فمعتقد أهل السنة والجماعة ينفي العصمة عن الشيوخ وعلماء الدين، بل يعتبر المجتهـد إنسانـًا يحتمـل رأيه الصواب والخطأ في المسائل الاجتهاديّة، وأن العمـدة مـا قالـه الله ورسـوله، فـإن خـالف عـالمٌ ذلـك يُـضرَبُ كلامُـهُ بعـرض الحـائط مـع الاعتذار له بحكم الطبيعة الإنسانيّة.

ولا توجـد عنـدنا واسـطة بـين الله وعبـاده، ولا جلـسات اعـترافٍ مؤدّىً عنها، بل كل المتصدّرين لحوار الملاحدة يقتطعون مجانـًا مـن أوقاتهم لتبصير الضّالّين بمنهج الحق، وليس عندنا أجرٌ مـاليٌّ نتقاضـاه إن أسلم فلانٌ أو هيّانٌ بن بيّان!

ولا نطلب من المسلم الجديد أجـراً أو مـالاً أو أيّ منفعـةٍ ماديّـةٍ! فكيـف سيـستقيم شـكُّ الملحـد في نوايـا محـاوره وثابـتٌ أن لا منفعـة دنيويّةٌ وراء حواره؟

ثم أن يشترط عليه شروطـًا لكي يتـأدب في الطـرح، وأنّ أي سـبّ وشتمٍ وعدوانيّةٍ ستكون نهايةً لـذلك الحـوار، لأنّ مـن حقّنـا كـدعاةٍ أن ننهي الحوار إن خرج المحاور عن آدابه المعلومة.

٧ – الشخصية الإسقاطية personnalité projective:

يقوم فيها الفرد بإسقاط حالته النّفسيّة، دوافعـه، عيوبـه، أخطائـه، علىٰ الغير، بحيث يدركها فيهم توهّمـًا ويَسِمُهُم بها بدلاً من أن يدركها

في نفسه!

فمثلاً الشخص الذي يضمر في نفسه العداء لجاره، قد يسقط شعوره العدائي على جاره فيدرك - توهّماً - أن ذاك الجار يعامله بعداءٍ، والملحدُ دائماً ما يتوهّم العداء والحقد والكراهية من طرف أهل الإسلام، فلو سألتَ ملحداً يعيش في بلدٍ غربيٍّ بعيد، لماذا تخفي إلحادك عن معارفك وجيرانك، لأجابك بالقول أنه يخاف على حياته من القتل! وكأنّ المسلمين يحملون السيوف في الشوارع ليبحثوا عن ملحد ليقطعوا عنقه!

فهذا في حقيقته خلل عند الملحد لأنّه يرى في الإسلام، مصدراً للحقد والكراهيّة، فأُلصقَتْ هاته الصورة النمطيّة في لا وعيه، فلكي يحصّن نفسه فيما يتوهّمه هو كباطل، يلجأ لآلية الإسقاط لكي يدفع عن نفسه فكرة أن الإسلام ديانة رحمةٍ للعالمين وهدايةٍ وخيرٍ للبشريّة!

وقد ذكر لنا القرآن الكريم صنفاً من الكفار يستعملون هاته الآلية الدفاعية أيام النبي ﷺ، فقال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (المنافقون:٤).

فالمنافقون الذين يُبطنون الكفر ويعلنون الإسلام، ويتآمرون عليه ليل نهار، يظنون أن المسلمين يريدون أن يبطشوا بهم، وذلك

نتيجة شعورهم العدائي نحو المسلمين، فيقومون بإسقاط هذا الشعور عليهم.

أو حينما مثلاً يتّهم أحد المخالفين محاوره المسلمَ، بالتعالي، وأنه متخلّفٌ، لا يفهم، وإن قرأ لا يفقه، وغيرها من تلك التهم المعلّبة، فكلّها تهمٌ تكون وراءها آلية الإسقاط تلك.

وباتّفاق علماء النفس فصاحب هاته الشخصية، لا يمكن أن يتقدم ذاتياً، ويُحسِّنَ مواقفه ومعتقداته ومعارفه وشخصيّته، ولا أن يعمل علىٰ تجاوز عيوبه تلك، لأنه ببساطةٍ ليس واعياً بها، ويحسِب أنه غير متّصفٍ بها جملةً وتفصيلاً! وهي حالةٌ من رفض رؤية الحقيقة أمامه، وبالتالي إلىٰ أخطاء كبيرةٍ في التأويل interprétation، فيكون ذلك صارفاً له عن الحقّ!

وهاته الشخصية لا يكون سببها الوحيد شعورٌ ذاتيّ لا يعي الشخص وجوده، بل قد يكون نتيجة تجارب حياتيّةٍ سابقةٍ عند الملحد! فحينما يقول الملحد لداعيةٍ أنت «تحتقرني» «تستهزئ بي» «تخنقني بتفكيرك» «لا تهتم بأسئلتي» فليس ذلك قد يكون بالضرورة وصفاً لواقعٍ! بل أساسه حقيقةٌ قديمةٌ، وواقعةٌ سابقةٌ: ألمٌ نتيجة عدم اهتمامٍ، استهزاءٌ قديمٌ في المدرسة، احتقارٌ في موقف في الماضي، معاناةٌ لم يتمّ التعامل معها ومع تكرّرها قديماً، وبالتالي لم يتحرّر ذاك الشخص منها في تلك الحقبة، لذلك دائماً ما تظهر شخصيته عن طريق الإسقاط.

- كيفية التعامل مع الشخصية الإسقاطية:

هنا على المسلم المتبصّر أثناء مواجهته لمخالفٍ متصف بهاته الشخصية، أن يبني جسر تواصلٍ سليمٍ، ويؤكّد للمخالف أن ما يحسّه ليس واقعًا وإنما توهّماتٌ دفاعيّةٌ لما يظنّه مهدّداً لأسلوب تفكيره واعتقاده، لكنّ ذلك ينبغي أن يكون مسنوداً بإرادةٍ حقيقيّة للملحد، لكي يتجاوز هذا الحائل الكبير أمام التفكير السّليم، والخلاصات المستقيمة، والتأويل الحكيم، بأن يفكّر في تلك الاتهامات وتلك المشاعر، ويعيد النّظر في تلك المعتقدات المترتّبة عنها انطلاقًا من وضعيته كإنسانٍ عاقلٍ، بالغٍ راشدٍ. لأن أغلب الملاحدة العرب ممن حاورنا ودرسنا اعتنقوا مذاهبهم الفكريّة في مرحلة المراهقة والمراحل الأولى الشبابيّة، فكانت نظرتهم لما يواجههم من منطلق أعمارهم تلك، فبنوا عليها خلاصات واستنتاجاتٍ وعايشوها، وانشرح صدرهم بها، حتى استطاع الوعي النفسي أن يقيم مجموعةً من الحواجز الدّفاعيّة اللاّشعورية لكلّ محاولةٍ تهدف إلى خلخلة هذا النّسق الفكريّ الاعتقاديّ!

إنه لمن المهم أن تبصِّرَ أيها المحاور مخالفك بحالته، لكي يستطيع تمييزها في محيطه، وأن تخلخل فكره بأسئلة من مثل: اسأل نفسك لعلّك أنت مصدر أحكام القيمة القبليّة التي تلصقها بأهل الإسلام؟ لعلّ تلك التهم جاءت نتيجة صداماتٍ سابقةٍ أثّرت عليك؟

وهنا على المحاور المسلم أن يدفع كل تلك الاعتقادات التي

يظنها الملحد في أهل الإسلام، وأن يبيّن له المنهج السليم والحق، بعيداً عما يُلصِقُهُ المنصِّرون والمستشرقون زوراً وبهتاناً بأهل المحجة البيضاء.

٨ – الشخصية الحدودية « borderline » La personnalité:

وهي الشخصية التي وصلت إلىٰ الحد الأقصىٰ من التحمّل، وتتميّز بمزاج غير مستقرّ humeur très instable، ولا تتحكّم بمشاعرها، خاصّة في حالة الغضب، وحقدٍ يهوي بها إلىٰ الاكتئاب، يبحثون عمّن يحتضنهم ويشعرهم بالاهتمام والحبّ وغالباً ما يتّجهون إلىٰ معاقرة الخمور والمخدّرات للهروب من أزمة المعنىٰ التي تقضّ مضجعهم، يقاومون دوماً تلك العدميّة العقديّة والاكتئاب النرجسي، والرغبة في الانتحار!

وهاته الشخصيّة من أصعب الشخصيّات التي يجب أن تلقىٰ اهتماماً خاصّاً من طرف المحاور المسلم، حيث أن لجوء الملحد الذي يتصف بهاته الشخصيّة إلىٰ حوار أهل الإسلام، قد يكون آخر أملٍ بالنسبة إليه لتغيير فكره والخروج من حالته هاته، وقد يقود به فشل الحوار وعدم الاقتناع إلىٰ الانتحار! كوسيلة للهروب من الضّنك الذي يترسّخ في غياهب هاته الشخصيّة.

وغالباً ما يعتنقون الإلحاد النيتشاوي نسبةً إلىٰ فريديريك نتشه، أو المذهب الوجودي لجون بول سارتر...!

- <u>كيفية التعامل مع هاته الشخصية:</u>

أن تعمل علىٰ مكافحة الخَوَاء العقديّ للملحد هو الهدف الأسمىٰ في حوارك معه، حيث أن حالته هاته لم تأت إلا عبر اعتناق معتقَدٍ يعتبر أنه لا يوجد معنىٰ للحياة، وللكون، وأن البشر مجرد كائناتٍ حيوانيّةٍ مثل غيرهم!

فهنا عليك أن تُرجِعَ إلىٰ الملحد المعنىٰ المفقود في حياته، وتعمل علىٰ المستوىٰ الفكريّ والنفسيّ، فأما الفكريّ بأن تنقض له أولاً نظرته الصُّدفويّة العبثيّة للحياة، ثم توضّح له المعنىٰ العامّ وتعيد إليه «الترميز» للأشياء.

«إن الإنسان لا يستطيع أن يعيش إلا إذا عرف أن لحياته معنىٰ، فنحن لا نتعامل مع الأشياء المختلفة باعتبار ما هي عليه، لكننا نتعامل معها من خلال ما تعنيه بالنسبة إلينا، أي أننا لا نتعامل مع أشياءٍ مجرّدةٍ.. بل نعرفها ونتعامل معها من خلال ذواتنا»[1].

فتلك أولىٰ الكلمات التي كتبها عالم النفس الشهير: ألفريد آدلر Alfred Adler، مؤسس علم النفس الفردي، والتي تلخّص لنا أن الإنسان كائنٌ رامزٌ، بمعنىٰ أنه يعطي رموزاتٍ للأشياء، فالصحن غايته وضع الأكل فيه، والكوب هو للشّرب، وهكذا إلىٰ أن تصل الترميزات إلىٰ غاية الإنسان، وحقيقة الكون، وهو لا يستطيع العيش في صحّةٍ نفسيّةٍ متوازنةٍ، إلا إذا كانت له معانٍ للأشياء. فإذا فُقدت

(١) كتاب معنىٰ الحياة (ص: ١٨).

سلسلةُ الترميزات تلك سقط الفرد فيما يسمّىٰ في العلوم الإنسانية، بأزمة المعنىٰ la crise du sens"[1].

وأما المستوىٰ النفسيّ، بأن تجعله يتحدث عما يشعر به، بغية أن تضع أصبعك علىٰ تلك المشاعر السلبيّة وأسبابها، فتغير له نظرته للحياة وتبدلها بمشاعر إيجابيّة!

فصاحب الشخصيّة الحدوديّة مثل قطارٍ خرج عن سكتّه فبدأت تتلاطمه الصخور والشّعب، لا يدري إلىٰ أين هو سائرٌ، ولماذا هو أصلاً سائرٌ.

وعليك أيها المحاور أن تبيّن له سعادتك التي وجدتها في دينك، وكيف أن الإسلام يمتّعك بذاك الأمن الروحي، وكيف تصل به إلىٰ مرتبة الإيمان والأنس بالله.

وهنا عليك أن تركزّ أيضـًا علىٰ كتب الرقائق والتزكية، وتظهر له الآثار النفسيّة للإسلام علىٰ المستوىٰ العقدي والعبادي والسلوكي.

ومن الأفضل أن توطّد علاقتك به، وأن تشعر محاورك بنوعٍ من الاحتواء والترحيب، وأن تشجّع إخوانك علىٰ الترحيب به والتعرّف عليه وتشجيعه علىٰ التغيير الإيجابيّ.

٩ – الشخصية التابعة La personnalité dépendante:

وهي شخصيّةٌ ليس لها أيّ حسٍّ نقدي، بل تتشرّب أول ما يلقيه

---

(١) بمعنىٰ فقدان المعنىٰ الوجودي في الحياة والأشياء.

إليها محاورها مسلمـًا كان أو ملحداً، فتقلّدُ متبوعها في كل شيءٍ بل في أيّ شيءٍ، وتتميّز بالرغبة في اتباع أيّ شخصٍ حتىٰ لو كان ضلالاً في ضلالٍ.

غالبـًا ما تكون شخصيّةً ودودةً لا تحبّ أن تجرح مشاعر الغير، مؤدّبةً في الطرح، تحتاج لمن يأخذ بيدها إلىٰ الحقّ.

- كيفية التعامل مع هاته الشخصية:

الشخصية التابعة كما أسلفنا هي شخصيّة انبهرت بملحد من الملاحدة فتشرّبت كل أفكاره ومعتقداته عبر تقليدٍ أعمىً، ولربما كان ذلك سببه انبهاره بحضارة الغرب جملةً وتفصيلاً لمَّا رأىٰ تقدمهم التقني، فربطها لا شعوريّـًا بمعتقدهم!

وهنا علىٰ المحاور المسلم أن يبيّن له الانفصال ما بين التقدّم التقني الذي له أسبابه المعلومة، وبين التقدّم العقدي، عبر ضرب أمثلة من التاريخ، كالرومان الوثنيين فقد حكىٰ التاريخ ازدهارهم الحضاري وقد كانوا عبدةً للأصنام وللطواغيت المُتخَيَّلة!

ثم بعد ذلك أن ينقض له رأي مَنْ يتبعه نقضـًا محكَمـًا وصريحـًا، ولا يستحينّ المسلم من إبراز علو ثقافته، وعلمه بمقالات ذاك المتبوع، وأن يهوّن من حجيّة أفكار المخالف، ويبيّن له عوراتها. فالهدف هنا هو إسقاط ذاك الرمز من نفس المخالف، وأن يعيد إليه ذاك الحسّ النقدي الذي افتقده خلال مسيرته!

حتىٰ إن سقط المتبوع من نفس التابع، سَهُلَ عليك تحليتُهُ بالحق، وضمنت انسياقه إليك بالحجة السليمة، والمنطق السويّ.

١٠ - الشخصية الفصامية المنعزلة

La personnalité schizoïde:

وهـي الشخـصية المنطويـةُ علـىٰ نفـسها، حيـث تعتنـق الإلحـاد وتؤسـس لأسـاطير تعـيش في كنفهـا ولا تحيـد عنهـا، أو بمعنـىٰ أصح تؤسس عالمها الخاص بأفكار ومعتقداتٍ حالمةٍ، ولا تهتم بالعلاقات الاجتماعيّة والإنسانيّة!

وغالبـاً مـا تختـار أعمـالاً حياتيّـة تميـل إلـىٰ العزلـة (كالكتابـة والبحث) تهربُ دوماً من الحوارات المباشرة، وتفضّل التخاطب عبر المنتديات ومواقع التواصل بشكلٍ غير مباشرٍ! ولا تُكوِّن غالبـاً إلا صداقاتٍ نادرةً وقليلةً، ويصعب عليها الاندماج داخل المجتمع.

دائمـاً مـا تميـل إلـىٰ التخيّـل وإنـشاء عـالمٍ خـاصٍّ بهـا تفـرّغ فيـه مشاعرها وأحاسيسها ومتطلّباتها.

- كيفية التعامل مع هاته الشخصية:

ينبغي علىٰ المحاور المتبصّر أن يتعامل مع هاتـه الشخـصيّة عـن طريق تعريـف المخـالف بمـشكلته أولاً، فـصاحب هاتـه الشخـصيّة لا يعي مشكلته ويحسب نفسه شخصاً طبيعيّاً!

فـأول خطـوة يخطوهـا المحـاور في حـواره هـو أن يخلـق مناخـاً جيّداً للمخالف، ويشجعه علىٰ التكلّم والتعبير عن رأيه بكـل أريحيّـة؛ فيبـدأ بعـدها ببيـان أن الإنـسان كـائنٌ اجتمـاعيٌّ بامتيـاز، أي لا يـستطيع العيش لوحده دونما أواصر وعلاقاتٍ اجتماعيّةً، فالهدف إخراجه من

ذاك الروتين الانعزاليّ الحالم الذي بناه ذاك الملحد وألِفه.

ثمّ يعتمد علىٰ آلية الهدم والبناء، بأن تهدم له ذاك العالم التخيّليّ من القناعات التي يبنيها الفرد لا علىٰ أدلةٍ، بل علىٰ أشياء يتمنّاها هو في نفسه، متخيّلةٍ لا تجد لها ترجمةً واقعيّةً ملموسةً!

هاته الآلية التي يقع فيها المخالف يسميها بعض علماء النفس بالتمنيّ التخيليّ Fantaisie، ويسمّيها آخرون باللجوء التخيّلي Refuge dans la rêverie، وهي آليةٌ كثيرة الاستعمال أيضًا عند الملاحدةِ les athées، واللادينيين الربوبيين les déistes من أصحاب هاته الشخصيّة، حينما يتحوّل الخوف من ذلك المجهول، الغامض بالنسبة لهؤلاء، والذي يدشّنه الموت برهبته وآلامه وسكراته، إلىٰ قلق وقضيّةٍ تشغل باله صباحًا ومساءً، حتىٰ إن انشغل عنها في غمرة مسيرته الحياتيّة بقيت في لاوعيه، قارّةً راسخةً!

حينها تنطلق هاته الآلية الدّفاعية، كمنقذٍ من هذا القلق، وحينها يصبح الإنسان ملحداً، أو ربوبيًا، يشيّد عالمًا من الأفكار والمعتقدات التي لا أساس لها في الواقع، منطلقًا من رغباته هو، وأحاسيسه، ومشاعره، وكأنّ معتقده يكيّفه تكييفًا مع ما يريده هو!

ولكي نقرّب هذا المفهوم أكثر في ذهن القرّاء نضرب أمثلةً معيّنة بسيطةً تبيّن طريقة اشتغال هاته الآليّة ونتيجتها:

فمثلاً: حينما يبني اللادينيّ الربوبيّ مجموعةً من المعتقدات حول الإله الخالق، ليست عليها براهين وأدلّة، ولا كتاب فيه يدرسون

منزّلٌ من خالقهم، فيدّعون مثلاً أن الله تعالىٰ «محايدٌ» لا دخل له في تسيير الكون، ولن يعاقب مسيئاً، ولن يجازي صالحاً، فيبني صرحاً من المتخيّل علىٰ هذا الأساس، كلما واجهه أحد أهل الأديان بتهافت منطقه، ازداد تعلّقاً بهذا العالم المتوهّم الذي شيّده في نفسه!

أو كمثل ذاك اللادينيّ الآخر، والذي يؤمن بوجود إله خالقٍ، وبعثٍ بعد الموتِ، لكنّه يمنّي نفسه بأن كل البشريّة ستدخل الجنّة! صالحها وطالحها، مؤمنها وكافرها، موحّدها ومشركها!

كما الملحد حينما يدّعي أنه لو كان هناك إله فسيدخله الجنّة، أو أنه يستطيع إفحام الإله الخالق ببضع كلماتٍ فينجو من العقاب!

فهاته الأمانيّ توقع الإنسان في المحظور وتؤدي به إلىٰ التهلكة، حينما ينقلب الواقع إلىٰ خيالٍ L'inversion du réel et de l'imaginaire، والتي يسميها علماء النفس الانطواء علىٰ الذات l'introversion، فيصبح أصل المعتقد ليس ما أنزله الله تعالىٰ وما ثبَتَتْ بالدليل صحَّتُهُ، بل الأصل في هاته الحالة هي الذات، أي حينما تصبح النّفس منبعاً لذلك المعتقد أو ذاك، حينها تصبح الأمانيّ أفكاراً، وتصبح التخيلات في درجة الواقع بالنسبة لهؤلاء! ومن هنا ذاك التضارب في المعتقد اللاديني، فهذا يتصور الإله رحيماً، وذاك يتصوره جبّاراً، والآخر يصفه بالوداعة وأنه لن يحاسب أحداً، والآخر يرىٰ فيه العدل والمجازاة، وذاك يقول بوجود حياةٍ بعد الموت، والآخر ينفي، حتىٰ أصبحت اللادينيّة متعددة المذاهب بتعدد الخلائق

القائلين بها!

وكذلك الإلحاد بمختلف تناقضاته بين مدارسه، وهلمّ جراً في القضايا التابعة، كنظرة الإنسان للكون، وأسئلته الوجودية، ومصدر أخلاقه، وكيفية عيشه...

فيكون هذا اللجوء التخيّلي من أسباب الإعراض عن الحقّ، لأن الإله في صفاته هو ما شاء هو لا ما شاء البشر، ويفعل سبحانه ما يريده هو لا ما يريده البشر!

ويفرض عليهم ما فرض هو لا ما يفرضه البشر! لهذا كان المعتقد اللاديني كما الإلحادي هو مجرّد ترجمةٍ لتلك الأحاسيس والأهواء والمشاعر والغرائز عن الانكفاء عن الذات، وجعلها مصدراً للحقيقة زوراً وبهتاناً، حتىٰ إن أعيتهم حجج أهل الإيمان لجؤوا لاشعورياً إلىٰ التخيّل وأضغاث الأحلام، كآليةٍ ناصرةٍ لباطلهم، مسوّغةٍ لتهافتاتهم، لا يُرجىٰ منها الفكاك إلا بإرادة صلبةٍ قويّةٍ.

فعليك أيها المحاور أن تهدم له عالمه، وتبيّن له عدم واقعيّتها وخطورتها علىٰ هذا الفرد، ثم تعيد بناء أفكاره بكل الأساليب الحجاجية والإقناعيّة المتاحة.

١١ - الشخصية المعتلة La personnalité sociopathe:

وهي أصعب شخصيّة سيحاورها المسلم، ومردّ ذلك إلىٰ اعتلالها النفسيّ، وجَلَفِها وغِلظَتها، لا يوجد عندها أدنىٰ احترام

لمعتقدات الآخر ولا إلىٰ قوانين وأخلاق مجتمعها، شخصيّةٌ غير مستقرة تمامًا، ولا تشعر بأدنىٰ ذنب من تصرفاتها، وغالبًا ما تميل إلىٰ الانحراف.

عندها الآخر هو الجحيم، وتشعر أنها في منزلةٍ تفوق البشر وأنها تتميز بذكاء خارقٍ حاد!

- كيفية التعامل مع هاته الشخصية:

هاته الشخصيّة صعبةٌ في النقاش لما أسلفناه حين التعريف بها، ومردّ ذلك ليس لضعف حجّة المحاور المسلم بل لأنها شخصيّة مَرَضيّةٌ وغالب علماء النفس لا يفرقونها عن الشخصيّة السيكوباتيّة التي تجنح للانحراف، الفرق فقط أن الشخصية السيكوباتيّة قد تولد باختلالات عقليّة في حين أن هذه تدفعها العوامل الخارجيّة إليها! فهنا يُرجىٰ أن يكون المحاور المسلم أولاً متخصصًا في علم النفس، حيث يبدأ معه حصصًا حواريّةً يعتمد فيها علىٰ أساليب العلاج كما هي مسطّرة في علم النفس المرضي، أو يحيله إلىٰ أخصائيّ نفسيٍّ حتىٰ تخفّ حدة الحالة ويصبح قابلاً للحوار العقديّ. ومن هذا المنبر أدعو الأخصائيين النفسيين من أهل الإسلام أن يتخصصوا في حوار المذاهب الفكريّة، وأن يتعمّقوا في العلم الشرعيّ إن هم أرادوا أن يحققوا نتائج إيجابيّةً مع أمثال هاته الشخصيّة وغيرها.

فهذا جماع ما ستجده من شخصيّاتٍ ملحدةٍ علىٰ مواقع التواصل الاجتماعيّ خاصّة والمرافق العموميّة عامّة، وإنّما بصّرتكَ

بها وبأساليب حوارها من أجل ألاَّ تقع في خطأ اتباع وسيلةٍ واحدة في حوار كل الشخصيّات. والتي نصّ عليها بعض علماء النفس والاجتماع[1]، وقابلناها خلال مسيرتنا المتواضعة في هذا الميدان!

❊ ❊ ❊

بعض المراجع للاستزاده:

- Les mécanisme de défense, - Serban IONESCU et collaborateurs.
- Quel type de personnalité êtes-vous? , Martine Massacrie.
- L'Exil intérieur: schizoïdie et civilisation, Roland Jaccard.
- La Tentation nihiliste, Roland Jaccard.
- Psychotherapy of the Disorders of the Self: The Masterson Approach, James F. Masterson.

❊ ❊ ❊

(١) من أمثال: Ralph Klein, Roland Jaccard, Martine Massacrier



الفصل الثالث:

في المنهجية والقواعد العامة والحيل الحواريّة



المبحث الأول:
في المنهجيّة والقواعد العامة.

كثيرٌ من المتصدّرين لحوار المذاهب الفكريّة، يقَعُون في أخطاءَ منهجيّةٍ تحرمهم من الوصول إلىٰ نتائج إيجابيّة مع الملاحدة، ومَردُّ ذلك إلىٰ عدم اتباعهم للمنهج المرتضىٰ في الحوار، فتجدهم يقدّمون ما حقّه التأخير، ويؤخِّرُونَ ما حقه التقديم، أو يَسْقُطُون في حِيَلِ الملحدين فينساقون وراءهم حتىٰ إنْ قرأتَ المناظرةَ أو سمعْتَها، تجدها تفتقد للترابط المنطقيّ والمنهجيّ، فيصبح وكأن المناظرة عبارةٌ عن سؤالٍ من الملحد وجوابٍ من المسلم!

فتكون خاويةً من الإلزامات، لا إفحامَ فيها ولا تفنيد، فتصبح المناظرة والحوار أشبه بعرضٍ لفكر الملحد مقابل عرضٍ لفكر المسلم، دونما تمحيصٍ لتلك الأفكار وردّها بَلْهَ نقضِها.

فإليك أيها المحاور مجموعةً من القواعد عليكَ اتباعها لزاماً حتىٰ تحقق الغرض، وتَنْشُدَ المقصود:

١ - القاعدة الأولىٰ: وضع شروطٍ عامّة لسير المناظرة:

لا يسوغ أيها الداعية أن تدخل لمناظرةٍ أو حوارٍ، دونما شروطٍ تتفق مع مخالفك حولها، وهذه القاعدة الافتتاحيّة تكون تذكيراً بآداب التناظر، حيث ينبغي علىٰ المحاور أن يذكّر مخالفه من أن القصد من الحوار هو البحث عن الحق، ونبذ التعصّب والعناد، وإخلاص النيّة لهذا القصد، كما تجنب الكلمات المُفضيَةِ إلىٰ تعكير صفو المناظرة، كأن يستهزئ بالخصم، أو يصفه بالغباء أو البلادة، أو يسيء إلىٰ معتقد الآخر بألفاظ استفزازية أو يضمن مداخلته لَمْزاً معيباً، فكل ذلك من الصوارف عن الحق، الكفيلة بقذف المناظرة إلىٰ غياهب التعنت والتكبر، وقطع مادة الفهم والخاطر.

وينبغي من بين الشروط أيضاً تجنب التطويل في المداخلة، فالكلام إن طال دون داعٍ اشتمل علىٰ إطناب تَمُجُّهُ الآذان وتَملُّهُ القلوب وتضيق به الأعين، فتصبح المداخلة الواحدة بطول عشر صفحات فما فوق، فيحصل أن المُعقِّبَ عوض القراءة الفاحصة والاستماع المصغي يمر مرور الكرام.

ثم الاتفاق علىٰ وقت المناظرة كم ستطول وتحديد وقتِ كل مداخلة وعدد المداخلات سواءٌ في الحوار المباشر أو الحوار عبر الكتابة، فالمناظرة ينبغي أن تكون معلومة الوقت لا أن تطول إلىٰ أشهرٍ، أو تكون بطيئةً في حالة التحاور الكتابي.

٢ - القاعدة الثانية: تحديد موضوع المناظرة الكليّ وضبط الإشكاليّات:

فلكلّ مناظرةٍ موضوعٌ كليٌّ يكون هو العمدة في الحوار، فإن كانت حول إثبات وجود الله تعالىٰ، ينبغي أن تحدّد الإشكاليات المطروحة والتي ستتكفّل المناظرة بالإجابة عنها، ثم تحديد الأفكار الفرعيّة والنقط التي ستُثارُ أثناء المناظرة.

ويصحّ أن يُثارَ أكثر من موضوع في المناظرة الواحدة، حتىٰ إن فرغ المتحاوران من موضوع انتقلوا إلىٰ موضوع آخر، الشرط الوحيد أن يُراعَىٰ السلّمُ المنطقيّ بين تلك المواضيع فلا يصح الانتقال من إثبات وجود الله إلىٰ إثبات فرضية الحجاب بعدها!

٣ - القاعدة الثالثة: ضبط التعريفات ووضوح الفكرة من كلا الطرفين:

وهي ما يصطلح عليها فقهاء الأصول بتحرير محلّ النزاع، فإن كان الموضوع حول الإلحاد النيتشاوي مثلاً فعلىٰ المحاور أن يطلب من المخالف وضعَ تعريف بسيطٍ بمعتقده، حتىٰ وإن كان عارفاً به، لأنه لا يضمن أن مخالفه له تصوّرٌ خاطئٌ له، أو أن القراء أيضاً يعرفون الموضوع!

وكلما كانت هناك عبارةٌ غامضة فلْيستوقِفْ محاوره للاستفسار عنها، حتىٰ لا يقع هناك خروج عن القصد، فيصبح المحاور المسلم

يتكلّم في وادٍ ومخالفُهُ يتحدث في وادٍ آخر.

فهنا عليك أن تحدّد بدقّةٍ الاستشكال الراسخ في ذهن مخالفك، وتضع أصبعك بدقّةٍ علىٰ الجرح الذي يعاني منه في المسألة.

٤ - القاعدة: الرابعة: البدء بالأصول وتأخير الفروع:

وهي قاعدةٌ جوهريّةٌ هامّةٌ جداً، فلا يَسُوغُ أن أناظر ملحداً في مسألةٍ فرعيّةٍ، كفهمٍ لحديثٍ معيّنٍ، أو حول مناسك الحج، أو حول الحجاب، أو الصلاة أو غيرها...

بل ينبغي احترام السلّم التراتبي، فالملحد ينبغي أن يناقَش في أمّ القضايا وهي إثبات وجود الله تعالىٰ، لأنك لو ناقشته في فرعيٍّ فغالبُ ما سترجوه منه هو أن يسلّمَ لك مثلاً بفوائد الحجاب علىٰ سبيل المثال، لكّنه في الأصلِ منكرٌ لوجودِ الله تعالىٰ، فحتّىٰ لو ألزمته في فرعيّ فسوفَ يقلبُ عليك الطاولة بقوله أنه لا يؤمن بصحّة دينك جملةً وتفصيلاً.

فالمنهج المُعتبَر في حوار الملاحدة أن تبدأ معهم في إثبات وجود الله تعالىٰ، ثم ضرورة إنزال الشرائع وإرسال الرسل، ثم أي الأديان أحق بصفة الرّبانيّة، ثم في إعجاز القرآن وتواتره، ثم في صحّة نقل السنة ومنهج الأخذ عن الرواة وهكذا حتىٰ تصل معه إلىٰ الفروع.

ويصحّ أن تكون المناظرة في أصلٍ من أصول الإلحاد، كإثبات خطأ نظريّة الارتقاء والتطورّ، أو في حدود العلم، أو في أصول المعرفة،

أو بطلان الصدفة أو قِدَم المادة... وغيرها من المواضيع التي تحقق صفة الأصوليات الاعتقادية.

٥ - القاعدة الخامسة: مراعاة قواعد الفعل اللغوي:

والقصد من قواعد الفعل اللغوي هو أن يتعاون المتخاطبان على الوصول إلى الغرض المطلوب من دخولهما في التخاطب، وعليه ينبغي - أيها المحاور- أن تلتزم بقواعد منها:

- قاعدة الكمّ: وهي أن تكون إفادتك للمخاطَب على قدر حاجته من غير زيادةٍ ولا نقصان، فإن أنتَ زدتَ في الكلام أطلتَ على محاورك من غير فائدةٍ وحينها لن تضمن استيعابه الكليّ للفكرة، وإن نقصتَ لم تعطِ حينها للجوابِ حقّه فيصعب لمخالفك أن يسلّم لك بكلامك.

- ثم قاعدة الكيف: أي لا تقل إلا ما تعلم صدقه أو تقدر على إثباته، فقد يكون مخالفك قد أثار قضيّةً مُتمكِّناً هو منها ويعرفُ نقصانها وعيوبها كأن يجرّك لمناقشة دليلٍ كلاميٍّ له ثغرات، أو تلقيَ إليه بكلامٍ مرسلٍ حتى إن طالبك بالدليل عجزتَ عن تقديمه!

- قاعدة العلاقة: بمعنى مراعاة المناسبة في الكلام، فأفكار المناظرة تتسم بالعلاقة الترابطية بينها، فلا تقفز من فكرةٍ إلى أخرى بعيدةٍ عنها حتى لا تفتح على نفسك باب التشتت فتصبح المناظرة عبئاً ثقيلاً عليك.

- قاعدة الجهة: وهي الاحتراز من الغموض والإطناب والاضطراب، لأنك حينها توجه رسالة لمحاورك بضعف تمكّنك وعجزك عن إيضاح فكرتك.

٦ - القاعدة السادسة: احترام قواعد الفعل الحجاجيّ:

والحجة تنقسم إلىٰ قسمين: الحجّة المثبتَة وهي الحجّة التي تقرر صحّة فكرةٍ معيّنةٍ حيث ترسّخها في النفس وتقتضي التسليم بها، ولكي تكون موفّقًا في عرضها أيها المحاور رعاك الله ينبغي أن تلتزم بشروطها وهي كالآتي:

- شرط المضمون القَضَوي: فعليك أن تأتي بمجموعة من الأحكام الجازمة التي ينطوي كلٌّ منها علىٰ قضيّةٍ مخصوصةٍ.
- الشرط الجوهري: مجموعة الأحكام هاته ينبغي أن تأتي بها اجتهاداً منك لإثبات الدعوىٰ، بمعنىٰ أن يكون هدفك إقناع الطرف الآخر بصوابها.
- شرط الصدق: فطبعـًا عليك أن تعتقد بصدق القضايا التي جئت بها لإثباتها، فإن لم تقتنع بصدقها فكيف ستثبتها لمخالفك؟
- الشرط التمهيدي: هنا ينبغّي أن تعتقد أيها المتكلم أن محاورك لا يسلّم بالدعوىٰ، وأنّه يسلم بالقضايا التي جاء بها لإثباتها وهنا عليك أيها المحاور أن تهيئ الحجة المُبْطِلَة لقضايا خصمك.

وعليه نأتي للحجة المبطلة التي لابد أن تكون كسلاح تتوفر عليه

لتنقض أفكار ودعاوىٰ الملحد، والحجة المبطِلة هي التي تضمن بها هدم كل تلك الدعاوىٰ المزيّفة التي يعتقد بصحتها هذا الملحد، ولكي تُوفَّق في حسن تقديمها عليك احترام شروطها وهي كالآتي:

- شرط المضمون القضوي: وهي الإتيان بمجموعة من الاحكام الجازمة التي ينطوي كل منها علىٰ قضيّة مخصوصة.

- الشرط الجوهري: أن تأتي بهاته الأحكام وتنزلها منزلة الاجتهاد لإبطال الدعوىٰ، وأن تسعىٰ إلىٰ إقناع المخالف ببطلانها.

- شرط الصدق: أن تعتقد كذب الدعوىٰ وصدق الأحكام المبطلة لتلك الدعوىٰ المنحولة.

- الشرط التمهيدي: وهو أن تعتقد أن المخالف يُسَلِّم بدعواه وأن دعواه في حد ذاتها يعتقدها إبطالاً لدعواك أنت، فإن أنت أبطلتَ دعواه جرّدته من سلاحه.

وليس هنا مقام التفصيل الحجاجي إنما عليك أن تكون متعمّقاً بأساليب الحجاج وسلامة الاستدلال والقواعد المنطقيّة، وهو موضوعٌ يصلح لتأليف كتابٍ مستقلٍّ لعلّه يصدر مستقبلاً إن شاءَ الله تعالىٰ.

٧ - القاعدة السابعة: احترام تراتبيّة القوىٰ الاستدلاليّة:

فعليك أيها المحاور أن تحترم القوة الاستدلالية في مناظرتك، فالأدلّة ليست سواء في قوتها وحجيّتها، فلا يغرنّك ضعف الخصم

فتقول في نفسك سوف أقدّم أضعف الاستدلالات ثم أؤخر أقواها، بل عليك تقديم أقواها وتأخير أضعفها، بأن تتعلق في الاستدلال بأقوىٰ ما في المسألة، فقد يكون في الحاضرين من يضيّق عليك في رابطٍ ومقامٍ آخر، خاصة في الحوار الكتابيّ كأن يفتح عليك رابطاً للتعليق في المناظرة ويضعف من منزلتك وقوة خطابك.

فالمناظرة هي سبيلٌ إلىٰ طرح حجيّة الحق علىٰ كافّة المتابعين، وستبقىٰ مرجعاً يرجع إليه إخوانك ومخالفوك علىٰ السواء!

وعليه: ابدأ بأقوىٰ الأدلّة علىٰ إثبات وجود الله مثلاً من الأدلة الشرعيّة التي نص عليها القرآن الكريم، كدليل الخلق علىٰ وجود الخالق، ودليل الفطرة، وغيرها، ولا تقدّم الأدلة الكلاميّة التي عليها كلامٌ وأخذٌ وردٌّ، بل إن استطعتَ فلا تتكلّم فيها، أو أخِّرْها كأدلّةٍ تابعةٍ في المستوىٰ الثاني والثالث لتنصر الأولىٰ من باب زيادة الإفحام.

٨ - القاعدة الثامنة: التنويع في الاستدلالات العقليّة:

فالاستدلال العقلي هو استنتاج قضيّة مجهولة من قضيّة معلومة، والتوصل إلىٰ حكم تصديقيٍّ مجهولٍ بملاحظة حكم تصديقيٍّ معلومٍ.. وهذا وهذا تعريفٌ يُعتبَر من المسلّمات التي يأخذها طالب العلم عن أهل الحجاج والاستدلال من العلماء المعتبرين، وهو أنواعٌ منها كمثال:

- التوصل إلىٰ صحة قضيّةٍ بملاحظةِ نفيِ نقيضِها: فمثلاً في

قضية بطلان إتيان الموجود الأول من العدم، لأن العدم هو حالةٌ لا يمكن أن يصدر عنها الخلق إلا بوجودٍ موجودٍ مخالفٍ لهذا العدم، فإتيان العدم باللاعدم هو مستحيلٌ عقليٌّ، فنثبت حينها وجود واجب الوجود بنفي نقيضه.

- التوصل إلىٰ إثبات وحدانية الله باستحالة التعدد: فلو كان في الكون إله غيره الله لفسد ولأراد كل إله أن يعلو علىٰ نظيره ببرهان العقل، لكن الكون لم يفسد بالبرهان المشهود، فينتج أن الخالق واحدٌ لا شريك له.

- إثبات حدوث العالم بملاحظة قضيتين متباينتين متسلسلتين: فالكون متغيّر، وكل متغيّر حادث، إذن فالكون حادث.

والاستدلال أيها المحاور ينقسم إلىٰ قسمين هما:

- **الاستدلال المباشر**: وهو ما ضربنا عليه المثال أعلاه ويكون إثباته بالتقابل، أو العكس، أو تلازم الشرطيات.

- **الاستدلال الغير مباشر**: وهو حينما تحتاج لأكثر من قضيّة لإثبات أصلٍ واحد، ويكون عبر القياس أو الاستقراء أو التمثيل.

فعليك أيها اللبيب ضبط هاته الأنواع لكي تكون مناظرتك مفحمةً ملزمةً قاهرةً للباطل ومحقّةً للحق.

***

المبحث الثاني:
في حيل التناظر التي يستعملها الملاحدة وكيفية التعامل معها.

اعلم أيها المحاور رعاك الله وسددك، أن أصحاب المذاهب الفكريّة غالبًا ما يستعملون حيلاً في التناظر، نظراً لضعف حجتهم وهشاشة بنيان منطقهم، فيلجؤون لهاته الحيل للتلبيس عليك وعلىٰ القراء بغية طلب الفكاك، ومحاولة إيهام الناس بقوة الطرح، وسلامة منطقه!

وسأذكر لك بعض هاته الحيل مع أسلوب التعامل معها، حتىٰ تكون لك مرجعًا وتسترشد بها أثناء حوارك مع هؤلاء:

١ - تقرير القضية السالبة دون أدلة:

وهاته أول حيل المناظرات التي لا يوجد ملحدٌ لا يستعملها، وهو تقرير قضيّة سالبة دونما أدلّة ورفعها مرتبة الأصل الذي ينبغي التسليم به، في حين أن القاعدة المنطقيّة تقول: «أن مانع القضية السالبة يسلم جدلاً بنقيضها».

ونضرب المثال علىٰ هذا أن الملحد بمجرّد أن يدخل علىٰ أهل

الإسلام يقول: «أن الأصل هو عدم وجود الله تعالىٰ ومن يدعي العكس عليه بالدليل».. وهو تدليسٌ مفضوحٌ، لأن الأصل هو وجود الله تعالىٰ، وأدلّة عدم وجوده منتفية، فهو من ادعىٰ النقيض السالب وليس نحن، ومن قرّر السالب عليه بالبرهان وإلا سلّم بالأصل.

ذلك أننا شاهدنا بالحس والعقل استحالة وجود الكائنات دونما وجود واجب الوجود، فالسيارة مثلاً يستحيل أن يقول قائلٌ إنها جاءت صدفة وأن الأصل وجودها بدون صانع!

لأننا لما رأينا الإحكام في صنع السيارة والدقّة في التصميم، عرفنا أنه يستحيل ألَّا يكونَ لها صانعٌ سواءٌ عرفناه أو لم نعرفه، فكان من ادعىٰ أن الأصل عدم وجود صانعٍ لتلك السيارة وَسَمْناهُ بالسَّفَهِ لضعف موقفه وتسليمه بقضيّة سالبةٍ، فما بالك بمن نفىٰ خلق الكون وهو أرقىٰ وأكبر وأعقد من تلك السيارة!

وعليه فإن من ادعىٰ عدم وجود الإله عليه بالأدلّة وإلا فالتسليم بالقضيّة الأصل وهو وجود الله تعالىٰ لِكَمٍّ الأدلة العقلية والنقليّة التي تقرر هاته الحقيقة.

فهكذا يكون التعامل مع هاته الحيلة، عبر ضرب مثالٍ مبسّطٍ لتقريرها في نفس الملحد، وإلزامه بإعطاء أدلّة تنصر قوله ذاك..

٢ - التعمق في العبارات واعتماد الغموض في الطرح:

قد تواجه أيها اللبيب ملحداً له حظّ في الفلسفة، يجنح معك إلىٰ

الغموض في الكلام والتعمّق في العبارات وإلقاء بعض المفاهيم الفلسفيّة بغية إبراز عضلاته عليك، وتخجيلك أمام القراء والمستمعين، حتىٰ إن أجبتَه يواجهك بالقول: أنك لم تفهم قصده! حتىٰ إن أعاد عليك الكرة بنفس الغموض، التفت إلىٰ الحاضرين وخاطب القراء: أن الرجل لا يفهم قولاً!

فيحاول تقرير فكرة أنه أعلىٰ منك ثقافةً وأنه حاذقٌ بارعٌ وأنك لست بمستواه الفكريّ!

وهنا عليك أيها المحاور استيقافه في كل كلمةٍ غامضةٍ ألقىٰ إليك بها، بأن تسأله ماذا تقصد بالجملة الفلانية؟ حتىٰ يقرر لك المعنىٰ ببساطة لا تقبل أوجهاً أخرىٰ في الفهم، فتكبحَ حيلته، أو تلزمه في شروط الحوار بأن يستعمل لغةً واضحةً لا تقبل تعدد الفهوم.

٣ - الإجمال:

وهذه حيلةٌ مشهورةٌ يستعملها بعض الملاحدة أثناء الحوارات والمناظرات، وهي إن كان المحاور المسلم حَذِقًا يحسن طرح الإلزامات في قضيّةٍ معيّنةٍ، وعلم الملحد أن الإلزام قويّ لا مَحيدَ عنه ولا مَنَاصَ منه، يجيب إجمالاً دونما تطرّق لدفع ذاك الإلزام، فيعلّق بجملةٍ أو جملتين ثم يقفز إلىٰ جانبٍ من جوانب القضيّة متجاهلاً نقاشَ ما جاد به يراع المؤمن من إلزامات!

ومقصده من هذا هو تجنب الإفحام من طرف الخصم، لأنه في

حال أُفحِمَ فعليه إمَّا أنْ يسلّمَ بصحة طرح محاوره أو أن يقف موقف ضعفٍ أثناء المناظرة.

وهنا أهميّة أن يكون الحوار أو المناظرة لها حَكَمٌ يتدخّل لإدارة الحوار، ويفرض علىٰ كلا المحاورَين الإجابة عن الإلزامات وعدم تجنّب مناقشتها! وفي حالة لم يتنبّه مدير الحوار فعليك أيها المحاور المسلم أن تنبّهه لهاته المسألة أثناء مداخلتك التعقيبيّة، وفي حالات يفضل أن تأخذ الكلمة وتمتنع عن إضافة شيءٍ حتىٰ يجيبك محاورك عن إلزاماتك.

٤ – التطويل والإطناب في المداخلة:

وهنا قد يستعمل الملحد هاته الحيلة بأن يقول أو يكتب كلاماً طويلاً يورث السآمة والضجر، حتىٰ أنك علىٰ طول مداخلته تجده لم يقل إلا فكرةً أو فكرتين، وهنا يحاول الملحد إيهام القراء والحاضرين بقوة طرحه وخبرته، لأن الكلام الطويل لأول وهلةٍ قد يظنّه البعض علامةً علىٰ قوة الطرح وحجيّته.

وهاته الحيلة كان يستعملها السُّفسْطَائيون اليونانيون في مناظراتهم الفلسفيّة، وأشهر من استعملها هو الفيلسوف اليوناني بروتاغوراس خاصّة في مناظراته مع أفلاطون.

فإن استعمل الملحد هاته الحيلة فنبِّهْهُ إلىٰ أن كلامه كله لم يناقش إلا فكرةً أو فكرتين، واذكرهما له، وبيّن حيلته للناس، واضرب

بعرض الحائط كل الكلام التابع والذي لا يغني شيئًا، والتفت إلىٰ الفكرة واهدم بنيانها.

٥ - تفريع النقاش وإثارة أكثر من قضيّة واحدة:

والقصد من هاته الحيلة التشغيب، وزعزعة التناسق الحواري للمناظرة، وهي حين يكون الحوار مثلاً حول نقطة معيّنة كوجود الله تعالىٰ، ثم أثناء مداخلة الملحد لا يلتزم بهاته النقطة فقط، بل يجر النقاش إلىٰ قضايا أخرىٰ كمسائل القضاء والقدر، وتواتر القرآن، ومسائل النبوة وغيرها... بغية إحداث نوعٍ من التشتيت للمحاور وإرغامه علىٰ بذل مجهود كبير لكي يجيب علىٰ كل القضايا والتساؤلات! وهنا الملحد يريد أن يخلق نوعًا من السآمة لخصمه حتىٰ إن أعياه ترك له المناظرة فيرجع فرحًا إلىٰ قومه أنني أفحمتُ المسلمين في عقر دارهم!

وهاته الحيلة ينبغي ألَّا ينساق وراءها المحاور المسلم، بل لا يكلّف نفسه عناءَ الإجابة إلا علىٰ النقطة المتفق عليها، ويبيّن ذلك صراحةً ولو كان الحوار مكتوبًا وجاريًا علىٰ منتدىً من المنتديات فيُفَضَّل للمراقب الذي يدير الحوار أن يحذف كل شيءٍ لا علاقة له بالموضوع الأصل.

٦ - تجاهل الأفكار المطروحة:

التجاهل بمثابة هروبٍ إلىٰ الأمام من طرف الملحد، حيث لا

يجيب إلا علىٰ ما أراد ويترك ما سَيُسبِّبُ له صعوبة في الرد وسيحرجه أمام الناس أثناء المناظرة، فيدخل في انتقائيّة بغيضةٍ تمسّ جوهر المناظرة! فإن تجاهلتُ أفكارك وأجبتُ علىٰ ما أريد فقط ففيه إضعافٌ لمداخلتك، فالمخالف يبني مداخلته علىٰ أساس إيقاع القراء والمحاور في النسيان، فيشرع في تفصيل مداخلته علىٰ جزء من المسألة فقط ويبنيها بشكلٍ يجرفك إليها حتىٰ لا تتذكّر ما أسلفتَ آنفًا.

وهنا ينبغي للمحاور المسلم أن يشترط قبل البدء بالمناظرة بألا يترك مخالفُهُ نقطةً إلا وعلّق عليها، وكذلك المحاور يلتزم بذلك أيضًا في إطار موضوع المناظرة المتفق عليه.

وعليك في حالة الحوار المكتوب حينما تفرغ من قراءة مداخلة مخالفك أن ترجع إلىٰ مداخلتك الأصليّة لتعيد قراءتها واستذكار ما تجاهله الملحد من أفكار وإلزامات.

٧ - التركيز علىٰ فرعي بغية الإحراج:

وهنا حينما يدخل الملحد لأجل نقاش مسألةٍ فرعيّة فقط وذلك من أجل إحراج محاوره فيها، فتجده قد هيّأ الشبهات في تلك النقطة، ولا يريد إلا أن يطرحها لكي يُزَعْزِعَ عقائد العامّة ويحرج المحاور، خاصّةً إن تبيّن له أن المحاور المسلم ليس متعمّقًا في الفقه أو الحديث...

وهنا قد قرّرنا في قواعد التناظر أن الملحد لا يصلح أن يدخل معه المحاور في نقاش فرعيٍّ حتىٰ يستكملا معًا التباحثَ في المسائل الأصوليّة.

٨ - ادعاء العلم بمصنفات الإسلام والتعمق فيها:

لكم هو سهلٌ أن يدخل علينا الملحد لكي يخبرنا أنه متعمق في مصنفات الإسلام خاصّة مع توفر الكتب الإلكترونيّة ووفرة المعلومات ومحركات البحث العنكبوتيّة، حتىٰ إن سألته عن فحوىٰ كتابٍ تجد بضربة زر قد قرأ تلخيصًا له ودراسةً عنه فينسخ لك ما وجد لكي يثبت دعوىٰ أنه قرأ وتعمّق!

فالمحاور إن كان في حوارٍ مباشرٍ يرىٰ خصمه فمن السهل أن يحرجه بسؤاله عن كتابٍ معيّنٍ، الشيء الذي لا يمكن أن يفعله أثناء الحوار الكتابيّ.

وفي هاته الحالة أثناء إثارة قضيّةٍ معيّنةٍ عليه أن يكون ذكيًّا حتىٰ يكتشف كذب الملحد، وذلك أن يُنسي مخالفه أثناء الحوار مسألة تركيزه علىٰ امتحانه في صحة دعوىٰ قراءته للكتب، ثم يَدُسَّ له رأيَ عالمٍ فُلَانيٍّ ادعىٰ الملحد أنه قرأ له ولا يصرّح به ويسأله عن رأيه الشخصيِّ فيه، أو يدّعي من باب الجدل فيقول: «ألم تقرأ أيها الملحد كلام العالم الفلاني في كتابه الذي قرأتَ والذي يذكر فيه...» ثم يصرّح له بقولٍ لم يقله العالم ليرىٰ هل سيراجعه الملحد في ذاك أم سيتابعه، وبِرَدَّةِ فعل الملحد والتي غالبًا لا يراجع فيها خصمه يظهر أنه فقط كذابٌ لم يقرأ شيئًا، وهنا فَلْيُشَنِّعْ عليه ليثبت للناس كذب الملحد في دعواه.

٩ - النسخ واللصق من شبهات المستشرقين والمنصرين:

وهاته الحيلة تكون نتيجة ضعف الملحد ثقافيّـًا، فيضطر إلىٰ نسخ ما يجد في المواقع بغية أن يُقالَ أنه عارفٌ مناظرٌ! وهنا ينبغي للمحاور أن ينسخ كلمةً أو كلمتين من مداخلة الملحد ويعرضها علىٰ محرك البحث، فإن وجد أن الرجل ناسخٌ لا يعرف شيئًا فضحه أثناء المناظرة، حتىٰ لا يَرُوجَ له شيءٌ بعدها. وحينها سيُضطر الملحد إلىٰ عدم النسخ وسيبذل مجهوداً أكبر لكي يحاور، وحينها سيكون سَهَّلَ النقاشَ للمحاور.

ذلك أن الملحد ما التجأ إلىٰ النسخ واللصق من شبهات المواقع إلا لضعفه الثقافيّ والعلميّ، فإن تَرَكَهُ اتَّضحَ ضعفُهُ للناس، كالمصارع الذي يتحدّاك في الحلبة ولم يبلغ مبلغ الاحترافيّة فيها، فحينها سيسهل عليك نزاله وصرعه.

١٠ - السخرية والاستهزاء بالمعتقدات الإسلامية:

طبعـًا من حين لآخر ستجد هذا النوع من الملاحدة منتشراً، فهو لا يريد إلا تفريغ حقده وبغضه للدين وللمتديّنين، والتنفيس عن مشاعره، وفي هاته الحالة ينبغي أن يحذف كلام الملحد جملةً وتفصيلاً ويحذره مدير الحوار فإن عاد أوقفت المناظرة نظراً لعدم التزام الخصم بالآداب العامّة للتناظر.

وقد جاء الشارع واضحـًا في حرمةِ حتىٰ الجلوس للاستماع في

مجلسٍ يضمّ استهزاءً لمعتقداتنا، وفيه يقول الله ﷻ في محكم تنزيله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (النساء: ١٤٠).

١١ - التدليس على المصنفات الإسلامية:

وهي حيلةٌ يستعملها الضعيف من الملاحدة وقد ورثوها عن المنصّرين الحاقدين على الإسلام، وهي حينما يلصق أحدهم بعالمٍ من العلماء شيئًا لم يقله في شناعةٌ، ويقول لك ارجع إلى الكتاب الفلاني والصفحة الفلانيّة، فالمحاور غالبًا حينما يأتيه الملحد بمثل هذا لا يرجع إلى الكتاب ويظنّ سلامة النقل، فيبدأ بالاعتذار للعالم وأن العصمة دفنت بدفن النبيّ ﷺ، وهو حقّ.

لكن على المحاور ألا يثق بهؤلاء مطلقًا، ودائمًا ما يجب عليه أن يتبع الحيطة والحذر ويتثبت في النقل ويرجع للمصنّف قبل أن يجيب، حتى إن كان النقل صحيحًا قرأ الاقتباس في سياقه فلعلّ ذاك الإمام يقصد ما لم يفهمه الملحد!

أما إن اكتشف التدليس فلْيَفضَحْه على رؤوس الأشهاد ليسقط الملحد من عين حتى أصدقائه ومتبوعيه، فتدليسٌ واحدٌ مفضوح كفيلٌ بأن ينسف كل مقالات ومواضيع ذاك الملحد.

١٢ - الكذب علىٰ الأطروحات العلمية والمؤلفين:

وهاته الحيلة مقتضاها أن يخترع الملحد نظريّاتٍ من عنده وربما أسماء قد تجدها حاضرةً أو غير موجودةٍ قط، كأن يقول لك قال العالم البيولوجي هيّان بن بيّان نظرية يخترع لها اسماً رنّاناً، حتىٰ إن بحثت لن تجد للنظرية وجوداً ولا الاسم الذي زودك به الملحد.

أو يخترع نظريّة مع اسم موجود في الساحة العلمية، أو نظريّة موجودة يحرّفها لكي تقرر معتقده!

وهنا ينبغي للمحاور أن يكون علىٰ علم بمختلف الأطروحات العلمية في هذا المجال، فإن لم يكن متخصصاً في العلم الوضعي فلْيُخْلِ الساحة لمَنْ سدَّ هذا الثغر، فالخير في التكامل بين المواهب والقدرات.

وهنا ينبغي للمحاور أيضاً أن يبحث في مزاعم الملحد، وإن لم يجد فليطالب الملحد بالدليل والمصدر، أو فليصور الملحد له الكتاب والصفحة التي فيها ذاك الكلام!

فإن عجز فاعلم أنه كَذُوبٌ، وإن صدق في نظريّة فعلىٰ المحاور أن يبيّن له حدود العلم التجريبي أولاً، والفرق بين ما يُعتبَرُ حقيقةً علميّةً وبين نظريّة مثل غيرها.

١٣ - قلب كلام المحاور علىٰ غير وجهه:

وهنا قد يقلب الملحد كلام المحاور علىٰ غير وجهه فيقول له أنت قلتَ كذا وكذا، ويحرّفه ثم يجيب عنه، لأنّ في التحريف إضعافاً

لكلام المحاور المسلم، فإن لم ينتبه المحاور لكثرة المسائل والمشاغل انطلت الحيلة على القراء والمستمعين، فعليك أيها المحاور ألا تدخل مناظرة إلا وأنت متفرّغ لها، لا تفكّر في غيرها، لأنه وقتٌ تقتطعه لله ﷻ وليس للمخلوقين.

وعليك أن تنبه مخالفك لهاته المسألة وتعيد طرح كلامك بشكلٍ أبسط وكلمات دقيقةٍ لا تقبل التأويل، فإن عاد الملحد ليستعمل هاته الحيلة فيمكنك أن توقف الحوار أو تطلب من مدير المناظرة بأن يتخذ الإجراءات التي يراها مناسبةً في مثل هاته الحالة.

فهاته أبرز الحيل التي يستعملها الملاحدة في حواراتهم، يتوسّلون بها إفحام أهل الدين وإضعاف حججهم وآراءهم، فاحذر رعاك الله من هاته الحيل، وتعامل بها بالشكل الذي قررناه لك آنفاً، ولا تأخذْكَ شفقةٌ أو تجعل للشيطان عليك سبيلاً، فيُمَنِّيكَ بإسلام الملحد إن أنت تراخيتَ معه وتساهلتَ ولم تلزمْهُ!

فإنّك في موقعةٍ تمثّل دينك وتتكلّم باسم أمّتك، كسفيرٍ للإسلام تحمل راية الدعوة، وتذُبُّ عن بيضة الدين وعن حياض الإسلام، فلا يصلح أن تتعامل كالحمل الوديع مع شخصٍ لا يستحقّ، كما لا يصلح أن تكون شديداً مع من لا يستحقّ.

إنما الأمر حسبَ كل شخصيّةٍ من الشخصيّات، وطريقة كلامه، وهل استعمل الحيل أم لم يستعمل، وأنت ترجو في الأخير رضا

الخالق ﷻ، سواءٌ جعلك الرحمن سببًا في إسلام مخالفك أم لم يجعلك.

كما عليك ألا تكون سريعًا في طلب النتيجة، وتضغط على مخالفك وتطالبه بإعلان إسلامه! بل عليك أن تتمهّل فلربما لن يسلم إلا بعد أن تنتهي مناظرتك بأشهر ولربما سنوات.

لأن المناظرة حتى ولم تنته بإسلام المخالف، فإنما تنطبع في ذهنه، وتعيد صياغة لا وعيه، وغالبًا بعد المناظرة يتقرّب الملحد أكثر إلى المصنفات الإسلامية، والكتب الفكريّة في هذا الصدد.

والله وليّ التوفيق.

***

الخاتمة...

هنا عزيزي القارئ ترسو سفينة هذا الكتاب، سائلاً الله عَزَّ وَجَلَّ أن أكون قد وُفِّقْتُ في فتح عينَيكَ علىٰ بعض المسائل الضروريّة في حوار الملاحدة، إن ضبطتهاَ خلصتَ إلىٰ نتائج مبهرة في هذا الميدان، سائلاً المولىٰ عَزَّ وَجَلَّ بأن يكون هذا الكتاب فاتحة خيرٍ لي ولك، لكي تخرج إلىٰ حيّز التطبيق العملي لدعوة الملاحدة، فاعتبر الكتاب كمنهج تطبيقي بسيط وفعال للوصول إلىٰ مقاصد البلاغ الرباني المثمر، لإيصاله إلىٰ هؤلاء الحائرين التعساء، وخاطب فطرتهم، تجد الأسماع مصغيةً إليك، والعيون مركزّة عليكَ؛ فقد توخيتُ الإيجاز ما استطعتُ، والبساطة ما قدرتُ، حتىٰ يكون الكتاب بين يديك خفيفاً عليك، يسهل استيعابه، وكفاكهة لا تثقل الذهن ولا تعييه أثناء القراءة.

فالمقصود من هذا العمل لم يكن ابتغاء التكثير والحشر لكل ما جاء في باب التناظر والحوار، ومن أشكال القول والحجاج، بل كان سبراً عميقاً للدارج حسب خبرتنا من ظروف الحوار ونوعيّاتِ الملاحدة وأساليبهم. فذكرنا الأساسيّ الذي لا غنىٰ لك عنه في هذا المولج، وأوصيك ختاماً بالصبر في الدعوة والإخلاص في البلاغ فهو

رأس مالك الذي سينفعك في دنياك وآخرتك.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

قائمة المراجع العربية:

(١) آداب البحث والمناظرة، لمحمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد.

(٢) الكافية في الجدل، للجويني، مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي وشركاؤه.

(٣) غاية المرام في علم الكلام، للآمدي، دار الكتب العلمية.

(٤) المواقف في علم الكلام، للإيجي، عالم الكتب.

(٥) التبصير في الدين، لأبي المظفر الأسفاريني، عالم الكتب.

(٦) الرد علىٰ المنطقيين، لابن تيمية، دار المعرفة للطباعة والنشر.

(٧) مناهج الأدلة في الكشف عن عقائد الملة، لابن رشد الحفيد.

(٨) شرح وظائف البحث، السيد الشريف، دار الكتب الظاهرية.

(٩) الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي.

(١٠) البداية من الكفاية في الهداية في أصول الدين، نور الدين الصابوني، دار المعارف.

(١١) رسالة في منطق الاستدلال الحجاجي والطبيعي ونماذجه، طه عبد الرحمن.

(١٢) رسالة الكلنبوي في آداب البحث والمناظرة، إسماعيل الكلنبوي، دار الكتب الظاهرية.

(١٣) كتاب لباب العقول في الرد علىٰ الفلاسفة في علم الأصول، المكلاتي.

(١٤) مناهج البحث عند مفكري الإسلام، علي سامي النشار،دار المعارف.

***

لائحة المراجع الأجنبية:

(1) Dialogue, an interdisciplinary approach, Dascal.

(2) Les échelles argumentatives, Ducrot, O.

(3) Logic and conversation, Grice, H.P

(4) Speech acts in argumentative discussions, Grootendorst.

(5) Dialogiques, recherches logiques sur le dialogue , Jacques F.

(6) De la nature des dieux, Cicéron.

(7) Les matérialistes dans l'Inde ancienne , Marc Ballanfat.

(8) Les mécanisme de défense, - Serban IONESCU et collaborateurs.

(9) Quel type de personnalité êtes-vous? , Martine Massacrie.

(10) L'Exil intérieur: schizoïdie et civilisation, Roland Jaccard.

(11) La Tentation nihiliste, Roland Jaccard.

(12) Psychotherapy of the Disorders of the Self: The Masterson Approach, James F. Masterson.

(13) L'athéisme: folie dangereuse, J.G. Eslinger

(14) Traité de l'athéisme et de la superstition, Jean francois B.

(15) L'athéisme et le péril social, Félix Dupanloup.

(16) L'avenir d'une illusion, Sigmund Freud.

(14) Histoire de l'athéisme, Georges Minois.



كيف تحاور ملحداً ؟

« ذلك أن الحوار السليم بين المسلمين والملاحدة لا يتأتى بالمجازفة دون علم ، وإرسال الأحكام وطرح التعميمات، كما عودنا بعض الغيورين ، وإنما بالوقوف عند مسائله، ومعرفة متطلباته وأصوله، وتحليل الشبه والقضايا.
وقد تجلت باكورة هذا الكتاب في بيان أن الممارسة الحوارية التي اختص بها تراثنا الإسلامي والمعروفة باسم "المناظرة" هي أساس الوصول إلى الحق ، وتغيير معتقدات المخالفين ، فهاته الممارسة هي جوهر الدعوة الإسلامية، ومن المهمات التي ورثناها عن النبوة وحبانا الله تعالى بها، وكلفنا بتطبيقها إلى أن يرث سبحانه الأرض وما عليها.
فالحوار اليوم هو شعار وعي أمتنا ، وبه يتحقق ما لا تحققه الحروب والصراعات ، ذلك أن الحوار لا يوجد إلا حيث يوجد الاختلاف في العقائد وطرق البحث ، وتواصله يعني تواصل الأطراف فئات وأفراداً، حيث يفضي مع مرور الوقت إلى تقلص هوة الخلاف بينهم ».

أمين بن عبدالهادي خربوعي

باحث مغربي ، بكالريوس الأدب العصري ، دبلوم الدراسات الجامعية العامة في علم النفس الاجتماعي ، إجازة الدولة في علم الإجتماع من جامعة المولى إسماعيل ، دبلوم التقني المتخصص في التجارة الدولية ، ماجستير الدولة الفرنسية لإدارة الأعمال ، له مقالات وحوارات في مواقع مثل الإسلام ويب ومنتدى التوحيد.

Malak2j@gmail.com

جوال : ٠٥٣٩١٥٠٣٤٠ E-Mail:dalailcentre@gmail.com

Dalailcentre/



